الوحدة الأولى

"التفسير ومناهجه"

محتويات الوحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

١. مقدمة

١.١ تمهيد

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء ففتح به أعيناً عميا، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفا، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، إلى صراط العزيز الحميد.

والصلاة والسلام على إمام المرسلين المؤيد بالقرآن رحمة للعالمين وبعد:

فان تعلم العلم لله خشية، وطلبه عبادة، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، فهو منار سبيل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدى بفعالهم. إن العلم حياة القلوب، ومصابيح الأبصار في الظلم، وان العلماء يستغفر لهم كل رطب ويابس، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة.

يقول صلى الله عليه وسلم: " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". (مسلم، صحيح مسلم، رقم (٢٦٩٩) (٤ / ٢٠٧٤)).

وان أشرف علم هو علم التفسير، ومن هنا فقد جاءت هذه الوحدة بين يدي كتاب التفسير لتعرف بالتفسير ومناهجه، وقد مر معك – أخي الطالب، أختي الطالبة – في الوحدة الرابعة من مقرر علوم القرآن معنى التفسير والفرق بينه وبين التأويل، ونعيد هنا إلى ذاكرتك بعض ما ورد باختصار مع تتمة لمواضع أخرى في التفسير ومناهج المفسرين، ونبين لك ما السبيل الذي يجب أن تسلكه وما الأمور التي يجب أن تلتفت إليها قبل النظر في تفسير القرآن الكريم، كما نعرفك بأهم كتب التفسير وأشهرها حتى تكون مرجعاً لك في تفسير القرآن الكريم فتتعرف من خلالها على أقوال المفسرين ومناهجهم.

ومن أجل رفع المستوى العلمي في هذا المجال فقد وضعت لك – أخي الطالب، أختي الطالبة – مجموعة من التدريبات لزيادة توضيح موضوعات الوحدة وأوكل إليك الإجابة عنها بنفسك، ثم عليك أن تقارن إجابتك بالإجابة التي وضعتها لك في نهاية الوحدة حتى تطمئن إلى إجابتك وتستدرك جوانب الضعف إذا وجدتها غير صحيحة.

وأيضاً فقد ضَّمنت لك في هذه الوحدة عدداً من الأنشطة التي ستساعدك على الاتصال الذاتي بعدد من المراجع ذات الصلة بموضوع الوحدة.

وستجد بعد دراستك لأجزاء الوحدة أسئلة التقويم الذاتي وعليك أن تجيب عنها وحدك وتقوم بتصحيحها ذاتياً بعد عودتك إلى المادة العلمية لتتأكد من صحة إجابتك بنفسك.

والله تعالى أسأل أن يوفقنا وإياك لما يحب ويرضى وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، ويذكرنا منه ما نُسِّينا، ويجعله حجة لنا لا علينا، وأن يتقبل منا خطانا في العلم، وأن نكون من الذين يرفعهم الله به الدرجات العلا (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). [المجادلة: ١١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

٢.١ أهداف الوحدة

أخي الطالب، أختي الطالبة:

بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة، واستيعاب مضمونها، وحل أسئلتها وتدريباتها، نأمل أن تكون قادراً على أن:

١. تعرف معنى التفسير والتأويل في اللغة والاصطلاح.
٢. تفرق بين التفسير والتأويل.
٣. تحب التفسير فتقبل على تلاوة كتاب الله وفهمه.
٤. تعرف أهمية تفسير الصحابي.
٥. تقارن بين خصائص تفسير الصحابي، وخصائص تفسير التابعي.
٦. تعرف مدارس التفسير في عهد التابعين.
٧. تفيد من مسائل علوم القرآن قبل الخوض في التفسير.
٨. تتدبر كتاب الله، وتستخرج لطائفه، وتقف على أسراره ودقائقه.
٩. تقف على الأسباب التي أوهمت اختلاف الصحابة وأئمة التابعين في التفسير.
١٠. تستنتج أن جلَّ اختلاف الصحابة في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.
١١. تتبين الوجوه المختلفة لتفسير القرآن الكريم.
١٢. تعرف أمات كتب التفسير، وتقف على مناهج أصحابها.
١٣. تحدد أهمية كتب التفسير وتميز قيمة ما كتب فيها.

٣.١ أقسام الوحدة

تتكون هذه الوحدة من خمسة أقسام هي:

١. معنى التفسير والتأويل وشرف هذا العلم، ويحقق الأهداف (١-٣).
٢. خصائص التفسير في عهد الصحابة والتابعين، ويحقق الأهداف (٤-٦).
٣. الوقوف على منهج التفسير، ويحقق الأهداف (٧-٨).
٤. أسباب الاختلاف في التفسير، ويحقق الأهداف (٩-١١).
٥. أهم كتب التفسير وأشهرها، ويحقق الأهداف (١٢-١٣).

٤.١ قراءات مساعدة

أخي الطالب، أختي الطالبة:

إن أهم كتاب في موضوع الوحدة هو كتاب: (التفسير والمفسرون) للدكتور: محمد حسين الذهبي، فهو رسالة الدكتوراه للمؤلف في مجلدين، يتكلم فيه عن نشأة التفسير وتطوره، وألوانه ومذاهبه، مع عرض شامل لأشهر كتب التفسير على اختلاف ألوانها، وقد اعتمده كل من جاء بعده في جوانب عدة. وهناك كتب أخرى أفدنا منها في هذه الوحدة منها:

١. أصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد عبد الرحمن العك.
٢. أصول التفسير ومناهجه، د. عمر يوسف حمزة.
٣. مناهج المفسرين، د. منيع عبد الحليم محمود.
٤. مناهج في التفسير، د. مصطفى الصاوي الجويني.

٥.١ ما تحتاج إليه لدراسة هذه الوحدة:

أخي الطالب، أختي الطالبة:
هناك بعض النشاطات التي يؤمل منك القيام بها لتعزيز معرفتك، كما أن هناك عدداً من مراجع التفسير عرفناك بها وبمؤلفيها بشكل موجز، والمطلوب منك أن تعود إلى هذه الكتب فتقلب صفحاتها وتستعرض مجلداتها، وهذا يتطلب منك:

أ- الرجوع إلى المكتبات والتعرف على كتب التفسير الموجودة بها.
ب- إذا تعذر رجوعك إلى المكتبة فإننا ننصحك بضرورة اقتناء (C.D.) بعنوان (مكتبة التفسير وعلوم القرآن) فهو يحوي عدداً كبيراً من كتب التفسير وعلوم القرآن، بحيث يمكِّنك من زيادة المعرفة، وكتابة التقارير، وحل النشاطات.

٢. معنى التفسير والتأويل وبيان شرف هذا العلم:

أخي الطالب، أختي الطالبة: مر معك في الوحدة الرابعة من علوم القرآن معنى التفسير في اللغة والاصطلاح، ونعيد هنا بعض هذه المعاني مختصرة إلى ذاكرتك مع شيء من الزيادة في جوانب أخرى فنقول:

١.٢ التفسير في اللغة:

من الفسر بمعنى البيان والكشف، وفسرت الريح الغيم: كشطته، وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم بهذا المعنى قال تعالى: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) [الفرقان: ٣٣] أي بياناً وكشفاً.

٢.٢ التفسير في الاصطلاح:

علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

٣.٢ التأويل في اللغة:

مأخوذ من مادة (أول) بمعنى الرجوع، ومنه آل إليه الأمر عاد ورجع.

٤.٢ التأويل في الاصطلاح:

ارتبط لفظ التأويل مع التفسير واختلفت عبارات العلماء في التفريق بينهما وفقاً لاختلافهم في تحديد معناهما على أقوال نذكر منها:

١. التأويل مرادف للتفسير ومساوٍ له، فالمعنى في كلا اللفظين واحد، وهذا القول منسوب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) عزاه إليه (الزركشي في البرهان ١٦٤/٢)، و(السيوطي في الإتقان ١٦٧/٤)، وقد درج على هذا ابن جرير في تفسيره فهو يقول عند تفسيره للآية : القول في تأويل قوله تعالى....الخ، ويشرع في تفسيرها ويقول أيضاً: اختلف أهل التأويل في هذه الآية .....ومراده أهل التفسير، كما أنه سمى كتابه الذي أعده للتفسير باسم: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

والأظهر أن ثمة فرق ما بين التفسير والتأويل، وهذا ما جعل الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري المفسر (ت: ٤٠٦ هـ) يقول:"نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه" (الزركشي، البرهان ١٦٤/٢).

٢. وقال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) : "التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فان قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله". (السيوطي، الإتقان ١٦٧/٤).

٣. وقال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) : التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، كما أن التأويل أكثر استعماله في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. (الأصفهاني، مقدمة جامع التفاسير، ص: ٤٧).

٤. وقال بعضهم: التأويل صرف الآية من المعنى الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة، والتفسير توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة، ومثالهما: ما يقال في آية (يخرج الحي من الميت) [آل عمران: ٢٧] إن أراد منه إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل كان تأويلاً. (السيواسي (ت: ٨٦٠ هـ) عيون التفاسير ٧٦/١).

٥. ذهب بعضهم إلى أن التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية (الزركشي، البرهان ١٦٥/٢).

ولعل ما يرجح هذا القول أن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل وهو ترجيح يعتمد على الاجتهاد. (انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون ٢٢/١).

أسئلة التقويم الذاتي (١)

١. اذكر معنى التفسير في اللغة والاصطلاح.
٢. قارن بين التفسير والتأويل من خلال قول الراغب الأصفهاني.
٣. ما الذي يجب أن تقدمه في بيان معنى الآية : التأويل أم التفسير، ولماذا؟

٥.٢ مكانة علم التفسير

لما أن كان التفسير علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويتم به بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه فقد حاز هذا العلم مكانته وشرفه لارتباطه بكتاب الله تعالى.

فالقرآن الكريم هو أصل العلوم الشرعية كلها، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، عن أنس بن مالك قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس، قالوا: يا رسول الله من هم، قال: أهل القرآن أهل الله وخاصته". (صحيح، أخرجه احمد في المسند (٢٤٢/٣) رقم (١٣٥٦٦)، وابن ماجة في سننه (٧٨/١) رقم (٢١٥)).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) [البقرة: ٢٦٩] قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله. (ابن جرير في تفسيره (٨٩/٣) وهو في تفسير القرآن الكريم لابن عباس ص: ١١٩).

وأخرج ابن الأنباري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: " لأن أعرب آية من القرآن أحبُّ اليَّ من أن أحفظ آية". وأخرج أيضا عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلتُ" (ابن الأنباري (ت:٣٢٨)، إيضاح الوقف والابتداء ٠ (٢٣/١، ٢٦).

والمراد من الإعراب هنا: التفسير، قال السيوطي:"معنى هذه الآثار عندي: إرادة البيان والتفسير لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحويّ اصطلاح حادث، ولأنه في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه". (الإتقان : ١٧٢/٤).

وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات، وهو أجلُّ العلوم الثلاثة الشرعية، فهو مقدم على علمي الفقه والحديث.

لأجل هذا إعتنى الصحابة والتابعون بتفسير القرآن العظيم، فهذا مقرئ الكوفة أبو عبد الرحمن السُّلمي (عبد الله بن حبيب،ت:٧٣ هـ) قال: " إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به " الحاكم، المستدرك(٥٥٧/١) وصححه، ووافقه الذهبي، وابن سعد الطبقات الكبرى، ١٧٢/٦).

ومن هنا حرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم كتاب الله، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ في أعيننا، يعني عظم". (أحمد، المسند، ١٢٠/٣ رقم (١٢٢٣٦)). والمقصود هنا القراءة مع العلم بالتفسير، وكذلك حرص التابعون على تفسير القرآن وفهم معانيه.

قال الشعبي: " رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها". الثعالبي، الجواهر الحسان، (١١/١)).

وقال مجاهد: " أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل الله". (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٦/١)).

واعلم -أخي الطالب أختي الطالبة- أن التفسير ضروري لتدبر آيات كتاب الله (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته). [ص:٢٩]، وقال عز من قائل: (أفلا يتدبرون القرآن) [النساء: ٨٢]. وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن.

وعلم تفسير القرآن الكريم أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان لأن شرف الصناعة إما أن يكون بشرف موضوعها، أو بشرف غرضها، أو لشدة الحاجة إليها، وصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث:

أما من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

وأما من جهة الغرض: فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة إليه: فلأن كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

تدريب (١)

اكتب ثلاثة أحاديث في فضل قراءة القرآن الكريم

أسئلة التقويم الذاتي (٢)

١. ما معنى قوله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء).
٢. هل تفسير القرآن الكريم فرض عين أم فرض كفاية ولماذا؟
٣. كيف يمكن أن نوظف الآية القرآنية (أفلا يتدبرون القرآن) لبيان أهمية التفسير؟
٤. كان السلف يحرصون على إعراب آيات القرآن الكريم، فما المقصود بذلك؟

٣. خصائص تفسير الصحابة والتابعين

١.٣ تفسير الصحابة:

من المعلوم أن تفسير الصحابي يدخل ضمن التفسير بالمأثور، فالتفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى، وفي قول التابعي خلاف؛ فالقرآن قد تفسَّر آياته بآيات أخرى، وهناك آيات فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرى فسرها الصحابة رضي الله عنهم، وقد نص الحاكم على أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند (الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ) ، معرفة علوم الحديث ص: ٢٠).

وأنت تلحظ هنا أن الحاكم النيسابوري قيَّد الأخذ بقول الصحابي إذا كان قوله في أسباب النزول، وهو مما لا مجال للرأي فيه، فيكون له حكم الحديث المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجب على المفسر أن يأخذ به ولا يجوز له أن يعدل عنه.

أما إذا كان قول الصحابي مما للرأي فيه مجال فهو من قبيل الموقوف على الصحابي، ولا يجب الأخذ به لأنه يكون وقتئذ مجتهداً والمجتهد يخطئ ويصيب غير أن قولهم يبقى أولى من قول غيرهم خاصة وأنهم أدرى بتفسيره لما شاهدوه من قرائن وقت نزول الآيات وأحوالها.

٢.٣ مميزات تفسير الصحابة:

اتسم تفسير الصحابة بمميزات متعددة أهمها:

١. انه لم يصلنا عنهم ولا عن بعضهم تفسير كامل للقرآن كله، بل كل ما وصل إلينا تفسير آيات متفرقة.
٢. إن الاختلاف بين تفاسير الصحابة في فهم المعنى قليل.
٣. إن تفسير الصحابة في الأعم الغالب من نوع التفسير الإجمال المقتصر على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه بأقصر عبارة كتفسيرهم (غير متجانف لإثم) [المائدة: ٣] أي غير متعرض لمعصية، فإن زادوا على ذلك فمما عرفوه من أسباب النزول.
٤. إن هذا التفسير الإجمالي المختصر قد اقتصر على تفسير ما غمض على معاصريهم باجتهادهم وإعمال رأيهم فيما لم يجدوا تفسيره في كتاب الله أو لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم.
٥. إن استنباطهم الأحكام الفقهية من الآيات نادر، وانتصارهم للمذاهب في تفسيرهم منعدم نظراً لاتحادهم في العقيدة، ولأن الاختلاف المذهبي لم يتم إلا بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم.

٦. انه لم يدون لأحدهم تفسير على وجه الاستقلال لأن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني، وكان تفسيرهم بعضه يُتلقى سماعاً وبعضه يثبت في المصاحف حتى ظن بعض المتأخرين من غير المحققين أنه من وجوه القرآن.

٧. اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث، بل كان جزءاً منه وفرعاً من فروعه، ولم يتخذ التفسير له شكلاً منظماً بل كانت هذه التفسيرات تروى منثورة لآيات متفرقة كما كان الشأن في رواية الحديث، فحديث الصلاة بجانب حديث الجهاد، بجانب حديث الميراث، بجانب تفسير آية....وهكذا.

٨. اعتمد الصحابة في اجتهادهم على ما توفر لديهم من علم بأسباب النزول، وما أحاط بالقرآن من ظروف متعلقة بأحوال العرب وعاداتهم، وأحوال من حولهم من أهل الكتاب وقت نزول القرآن، إضافة إلى معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها مع ما امتازوا به من قوة الفهم وسعة الإدراك. (انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون(١/٩٨)، وحمزة أصول التفسير ومناهجه(ص:٦٣).

أسئلة التقويم الذاتي (٣)

أخي الدارس أختي الدارسة: أجب بنعم أو لا عن الأسئلة التالية:

١. إذا تكلم الصحابي عن سبب نزول آية فقوله له حكم المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٢. إذا كان قول الصحابي مما للرأي فيه مجال فإنه يجب الأخذ به إذا لم يعارض بحديث صحيح.
٣. كان الانتصار للمذاهب في عهد الصحابة نادراً.
٤. من التفاسير التي دونت في عهد الصحابة تفسير ابن عباس رضي الله عنهما.

نشاط (١)

أخي الطالب أختي الطالبة:
ارجع إلى كتاب التفسير والمفسرون، الجزء الأول، ص (٨١)، ولخص قوله في تحقيق نسبة التفسير لابن عباس، والموسوم ب "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس".

٣.٣ قول التابعي في التفسير:

يجب الأخذ بقول التابعين في التفسير إذا اجمعوا على تفسير آية، أو إذا كان قول التابعي مما لا مجال للرأي فيه، فانه يمكِّن الآخذ بروايته إذا كان من كبار التابعين، وصح إسنادها، ولم يعرف عن راويها الأخذ عن أهل الكتاب، وتقوت بروايات أخرى.

أما إذا اختلفت أقوال التابعين في التفسير فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، فهم لم يسمعوا من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً، وإذا خلا قول التابعي مما ذكرناه فليس بحجة ولا يجب الأخذ به، إلا أن الأصل في المفسر أن يضع أقوالهم بين يديه عند تفسيره لآية ما لعلها تفتح للمفسر بعض ما غمض عليه من معاني

القرآن خاصة وأن غالبية التابعين تلقوا تفسيراتهم عن الصحابة رضي الله عنهم، فقولهم فيما ليس فيه إيجاب يأخذ طابع الاستئناس.

٤.٣ مميزات التفسير في عهد التابعين:

امتاز التفسير في عهد التابعين بالمميزات الآتية:

دخل التفسير كثير من الإسرائيليات، وهي مرويات أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية، كأخبار بدء الخليقة، وأسرار الوجود، وبدء الكائنات، وكثير من القصص، وكانت النفوس ميالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية.

استقل التفسير في كتب مستقلة وإن ظل محتفظاً بطابع التلقي والرواية إلا أنه لم يكن تلقياً ورواية بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل كان تلقياً ورواية يغلب عليها طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون – بوجه خاص – بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم.

ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي، فظهرت بعض تفسيرات تحمل في طياتها هذه المذاهب، فقد اتهم بعض التابعين بأنه قدري وبدأ الكلام عن إثبات القدر وتكفير من يكذِّب به.

كثر الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين. (الذهبي، التفسير والمفسرون (١/١٣٠)).

توسع التفسير، وظهرت تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن ولكل لفظه من ألفاظه.

تدريب (٢)

أخي الطالب أختي الطالبة: ارجع إلى كتب التفسير واذكر رواية واحدة على الأقل من الإسرائيليات ذكرها المفسرون عند الآية (٩٤) من سورة الكهف: (قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض...الآية)

٥.٣ مدارس التفسير عند التابعين

انتشر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمصار بعد أن فتح الله عليهم الكثير من البلدان، وكانوا يحملون علماً غزيراً حفظوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذ عنهم حظاً وافراً من العلم، ويتتلمذون على أيديهم، فاشتهرت مدارس للتفسير كان أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون، وأشهر هذه المدارس ثلاث هي:

١.٥.٣ مدرسة التفسير بمكة:

قامت هذه المدرسة على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وأشهر تلاميذ هذه المدرسة:

أ. سعيد بن جبير الأسدي، أبو محمد أو أبو عبد الله، كان حبشي الأصل سمع من أئمة الصحابة، وكان من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه، وهو ثقة حجة، قتله الحجاج سنة (٩٥ هـ) وهو ابن تسع وأربعين سنة وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

ب. مجاهد بن جَبْر أبو الحجاج المخزومي المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، أخرج ابن جرير عن سفيان الثوري قال:"إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به" (تفسير ابن جرير،/(٤٠/١)). مات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة.

ج. عكرمة، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري، وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير مات سنة أربع ومائة.

٢.٥.٣ مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت هذه المدرسة على أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي أبو المنذر وسيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً من فضلاء الصحابة قيل إنه توفي سنة (١٩ هـ)، وقيل سنة (٣٢هـ)، وأشهر تلاميذ هذه المدرسة:

أ. أبو العالية: رُفيع – بالتصغير – بن مهران الرِّياحي، ثقة أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، وهو من كبار التابعين الذين اشتهروا بالتفسير، توفي في سنة تسعين للهجرة.

ب. محمد بن كعب القرظي المدني، ثقة، كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً، ولد سنة أربعين ومات سنة عشرين ومائة من الهجرة.

ج. زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان من كبار التابعين الذين عُرفوا بالقول في التفسير وهو عالم ثقة توفي سنة ست وثلاثين ومائة من الهجرة.

٣.٥.٣ مدرسة التفسير بالعراق

قامت هذه المدرسة على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة. أمَّره عمر بن الخطاب على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وكان أشهر تلاميذ هذه المدرسة:

أ. علقمة بن قيس بن عبد الله النَّخَعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة إحدى وستين من الهجرة.

ب. عامر بن شراحيل الشَّعبي – بفتح المعجمة – أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل مات سنة تسع ومائة من الهجرة.

ج. الحسن بن أبي الحسن (واسمه يسار) البصري، مولى الأنصار، ثقة فقيه فاضل مشهور، مات سنة عشرة ومائة من الهجرة.

أسئلة التقويم الذاتي (٤)

١. هل قول التابعي في التفسير حجة؟

٢. اذكر شروط قبول رواية التابعي في التفسير.

٣. علل اتساع الخلاف في التفسير في عهد التابعين دون عهد الصحابة؟

٤. على من قامت مدرسة التفسير بمكة، ومن هم أشهر رجالاتها؟

٥. ضع دائرة حول الجواب الصحيح فيما يلي:

أ. يتبع سعيد بن جبير لمدرسة التفسير:

١. بمكة ٢. بالمدينة ٣. بالكوفة ٤. بالعراق

ب. يعد مما تميز به أبو العالية الرياحي أنه:

١. أدرك الجاهلية ٢. من كبار التابعين ٣. من تلاميذ مدرسة التفسير بالمدينة ٤. كل ما ذكر صحيح

ج. قامت مدرسة التفسير بالعراق على:

١. ابن عباس رضي الله عنهما ٢. ابن مسعود رضي الله عنه ٣. أبي بن كعب رضي الله عنه ٤. عبد الله بن عمر رضي الله عنه

٤. منهج التفسير

إن من أراد أن ينظر في تفسير القرآن الكريم عليه أن يتجرد من الهوى والبدع وأن لا يجعل الدنيا تتربع على عرش قلبه، وأن يخلص لله تعالى النية حتى يفتح الله عليه كنوز القرآن، فإن ضعف الإيمان والإصرار على الذنوب حجب وموانع تحول دون التدبر في آيات الله المشاهدة وآياته المسطورة، وفي هذا المعنى قوله سبحانه (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق). [الأعراف: ١٤٦] قال سفيان بن عيينة: يقول تعالى: أنزع عنهم فهم القرآن (ابن جرير ٩/٦٠). ولسوف نحدثك – أخي الطالب، أختي الطالبة – هنا عن موضوعين اثنين – إن شاء الله – الأول منهما: كيفية الوقوف على تفسير سورة من القرآن الكريم، والثاني منهما:

منهج معرفة تفسير القرآن العظيم لطالب التفسير، وما يجب على المفسر أن يتنبه إليه ويحذر منه، ففي الموضوع الأول إشارة إلى الملاحظات حول الإطار العام للسورة قبل الدخول إلى آياتها وتفاصيلها، وفي الثاني سبيل الوقوف على معاني الآيات داخل السورة.

١.٤ سبيل الوقوف على تفسير سورة من التنزيل:

حتى تتمكن – أخي الطالب أختي الطالبة – من الوقوف على تفسير سورة من سور القرآن عليك أن تلاحظ الأمور التالية:

١.١.٤ نقاء السريرة وإخلاص النية لله تعالى في استكشاف معاني القرآن.

٢.١.٤ اسم السورة: وعلاقة هذا الاسم بموضوع السورة، ويلاحظ هنا أنه قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فاكثر، وينبغي البحث عن تعداد الأسماء: هل هو توفيقي أو لا.

٣.١.٤ فضل السورة: جاءت روايات في فضل العديد من سور القرآن الكريم نحو قوله عليه السلام: "أعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين".(البخاري، صحيح البخاري رقم (٤٢٠)). وقال عليه السلام في فضل البقرة وآل عمران : "اقرءوا الزَّهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صوافَّ تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرةٌ ولا تستطيعها البطلة". [السحرة] (مسلم، صحيح مسلم، رقم (٨٠٤) (٥٥٣/١)). وعلى الباحث أن يحذر الوقوع في الأحاديث الموضوعة في فضائل السور.

قيل لأبي عصمة الجامع (نوح بن أبي مريم): " من أين لك عن عكرمة (مولى ابن عباس) في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة. (السيوطي، تدريب الراوي: ٢٨٢/١)وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل القرآن سورة سورة فإنه موضوع.
وقد جرت عادة المفسرين الذين ذكروا فضائل سور القرآن أن يذكروها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها، إلا الزمخشري فإنه يذكرها في أواخرها، وعلل ذلك كون الفضائل صفات لها والصفة تستدعي تقديم الموصوف (الزركشي، البرهان: ٥١٣/١).

٤.١.٤ ملاحظة الجو الذي نزلت فيه السورة:

فمن الضروري معرفة تاريخ الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة عند نزول القرآن الكريم حتى يتضح لنا طبيعة الجو الإجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي نزل النص القرآني خلاله معالجاً للعديد من القضايا، فمن علم طبيعة أحوال البشر عند نزول القرآن استطاع الوقوف على مدى تأثير القرآن في النفوس، وأساليبه المعجزة في علاجها مراعياً في ذلك الحالة الإجتماعية والنفسية.....

٥.١.٤ تحديد كون السورة مكية أو مدنية:

فإن المفسر يستطيع عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ والمنسوخ عند معرفته أن هذه السورة نزلت قبل تلك، فما نزل سابقاً ينسخ أو يخصص بالمتأخر نزولاً ما لم ينص على أن بعض آيات السورة متأخرة نزولاً.

كما أن معرفة المكي من المدني تفيد المفسر في حقل الدعوة إلى الله بأن يميز بين مراحل الدعوة وأساليب الخطاب فيها، فالخطاب يختلف باختلاف المخاطب ومعتقده.

نشاط (٢)

ارجع إلى كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، المجلد الأول، (ص:٤٧) واذكر ضوابط المكي والمدني.

٦.١.٤ مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها:

المناسبة في اللغة تعني اتصال الشيء بالشيء، ومنه الطريق المستقيم لاتصال بعضه ببعض، ومنه النسيب لاتصاله أو الاتصال به.

والمناسبة في الاصطلاح: وجه الارتباط والاتصال بين جمل الآية الواحدة، وآيات السورة الواحدة، ومطلع السورة مع خاتمتها، والسورة مع ما قبلها وما بعدها وفق ترتيب التلاوة في المصحف العثماني، وهذا الأخير هو الذي يعنينا هنا في هذا المقام، إذ من الضروري معرفة مناسبة السورة مع ما قبلها وما بعدها، وهذا يكشف عن الوحدة الموضوعية لسور القرآن، وأن القرآن الكريم وحدة واحدة متماسك السور من أوله إلى آخره.

ففائدة علم المناسبات أنه يكشف اللثام عن تماسك أجزاء الكلام في القرآن الكريم، وأنه آخذ بعضه بأعناق بعض ليشكل وحدة واحدة متماسكة البنيان ، ومن جهة ثانية فإن علم المناسبات يساعد في الوقوف على مقصود السورة.

ومن جهة ثالثة فإن علم المناسبات يساعد على تذوق إعجاز القرآن والكشف عن أسراره البيانية، ويعمل على تفتيح العقول من أجل اكتشاف أسرار الربط والتناسق بين آيات القرآن وسوره سيما وأن هذا العلم ليس أمراً توقيفياً بل يعتمد على اجتهاد المفسر ويفتح له الأبواب للنظر والتدبر، فإذا أمعن فيه النظر كشف عن العظات والعبر، وقد أرشدنا الله إلى تدبر آياته والتعرف على إعجاز سبكه وعدم اختلافه، فقال جل شأنه (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) [النساء: ٨٢].

وعدَّ البقاعي علم المناسبات في غاية النفاسة وأن نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو.

ومن أهم المراجع التي تكلمت عن علم المناسبات: كتاب البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن للإمام الحافظ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت:٧٠٨ هـ)، وهو شيخ أبي حيان، وكتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، وكتاب : تناسق الدرر في تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١).

وإذا أردت الوقوف على أسرار المناسبة بين مفتتح السور وخاتمتها فانظر سورة القصص وكيف أن مطلعها يندرج الكلام فيه عن موسى وما مر به من حالة الضعف أمام قوة الطاغية فرعون وقارن ذلك بحياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، فموسى ولد ضعيفاً، سعى لإبطال المنكر وإنصاف المظلوم ثم خرج من مصر خائفاً يترقب وعاد إليها منتصراً تمكن من دحر فرعون أمام الملأ، وتمكن من إنقاذ بني اسرائيل، وفي ختام سورة القصص، وبعد حديث طويل عن موسى عليه السلام يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) [القصص: ٨٥] أي إلى مكة، والعرب تقول : رد فلان الي معاده يعني إلى بلده، ولك عزيزي الطالب أن تسأل: ما العلاقة بين ذكر موسى عليه السلام في مفتتح سورة القصص وبين ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في ختامها؟ً وسيظهر لك الجواب إذا قارنت بين الحوادث التي تعرض لها موسى عليه السلام والحوادث التي تعرض لها محمد صلى الله عليه وسلم خاصة إذا علمت أن سورة القصص أو الآية السابقة التي في خاتمتها قد نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة، وكأن سياقها جاء ليقول لمحمد صلى الله عليه وسلم: لست الوحيد الذي أُخرج من قومك (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)[الأحقاف:٣٥] فما أصابك وما أنت فيه الآن قد أصاب المرسلين من قبلك فصبروا وثبتوا فأيدهم الله بنصره، وسينصرك الله كما نصر السابقين.

وستقف –أخي الطالب أختي الطالبة – عند دراستك لسورة محمد في الوحدة الثانية من هذا المقرر على مثال لمناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

نشاط (٣)

أخي الطالب أختي الطالبة: تأمل في خواتيم سورة الفاتحة ومفتتح سورة البقرة وحاول إيجاد التناسب بينهما.

٧.١.٤ محور السورة وموضوعها:

من الضروري لمن رام الوقوف على تفسير سورة أن يتعرف على موضوع السورة ويحدد معالم شخصيتها المميزة، وقد تحتوي السورة مواضيع متعددة، وعلى الباحث أن يحاول الربط بين هذه المواضيع إذا استطاع ذلك دون تكلف.

وقد جرت عادة المفسرين أن يعمدوا إلى تقسيم السورة إلى أقسام مختلفة حسب المواضيع التي تحويها ثم يشرعوا في تفسيرها فإذا أتموا ذلك تحولوا إلى غيرها وهكذا حتى نهاية السورة، ومن المفسرين الذين قدّموا للسورة

قبل الشروع في تقسيمها إلى وحدات الأستاذ سيد قطب رحمه الله، فهو يقدم بين يدي السورة ويتحدث عن موضوعها والمحور الذي تدور حوله جزئياتها فعند تقديمه لسورة البقرة نجده يقول: "هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة واستقبالهم لها...، وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها..." (قطب، في ظلال القرآن: ٢٣/١)، ويقول في مقدمة سورة مريم: "ويدور سياق هذه السورة على محور التوحيد، هذا النوع الأساسي الذي تعالجه السورة" ثم يقسم سيد قطب رحمه الله السورة حسب موضوعاتها إلى ثلاثة أشواط. (قطب، في ظلال القرآن: ٤٢٢/٣).

ومن الذين اهتموا ببيان محور السورة ووحدتها الموضوعية الإمام محمد عبده في تفسيره للقرآن الكريم فهو يرى أن لكل سورة من سور القرآن الكريم روحاً يسري في أجزائها وفكرة عامة تربط بين آياتها، وهو يرى أن فكرة السورة يجب أن تكون أساساً في فهم آياتها، والموضوع يجب أن يكون أساساً في فهم الآيات التي نزلت فيه، وكان هذا من أسباب رفضه كل تفسير لا يحقق التناسق والتوافق بين أجزاء السورة.(شحاتة، د. عبد الله محمود، القرآن والتفسير (ص:١٤١)).

وتأثر به في ذلك أساتذة في التفسير في العصر الحديث السيد محمد رشيد رضا والأستاذ محمود شلتوت وكذلك د. محمد عبد الله دراز، أما شلتوت فقد كان يعمد في تفسيره إلى بيان الفكرة العامة للسورة، ويعرض المواضيع التي تعالجها والمبادئ والحقائق التي تسجلها، وعند حديثه عن سورة البقرة مثلاً – وهي أطول سورة في القرآن – يرى أنها تهدف في جملتها إلى غرضين أساسين. (شحاتة، القرآن والتفسير، ص: ١٤١).

وأما دراز فقد تحدث عن الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم وألف في ذلك كتاباً قيماً متميزاً في بابه هو :"النبأ العظيم" ومن جملة ما قال فيه عن الوحدة الموضوعية:" إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنيةٌ متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شُعبٌ وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول: فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة...... ولماذا نقول: إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباطٌ موضعي من أنفسها، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معُين، وتؤدي بمجموعها غرضاً واحداً مع اختلاف وظائفه العضوية". (دراز، النبأ العظيم، ص:١٥٥).

تدريب (٣)

أخي الطالب أختي الطالبة:

لخص مع المناقشة رأي الشوكاني في المناسبات من خلال ما ذكره في تفسيره فتح القدير عند الآية (٤٠) من سورة البقرة.

٨.١.٤ الاهتمام بما انفردت به السورة وتميزت به عن غيرها

فهناك سور انفردت بميزات خاصة بها، ومن ذلك سورة النور التي افتتحت بقوله تعالى (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) [النور: ١].

فهذا تفرد لا نظير له في باقي سور القرآن، إذ هي السورة الوحيدة التي ابتدأت بما يشير إلى فضلها ومكانتها ومنزلتها، وكأنها افتتاحية للفت نظر القارئ إلى أهمية ما تتضمنه من أحكام، فالسورة: أي المنزلة العالية الرفيعة، و(أنزلناها) فيه إسناد إلى ضمير الجلالة الدال على العناية بها وتشريفها...الخ.

وقد تنفرد السورة بمفردات، أو تراكيب، أو أحكام لم ترد في غيرها من سور القرآن الكريم.

أسئلة التقويم الذاتي (٥)

١. ما الفائدة من معرفة الجو الذي نزلت فيه الآية أو السورة؟
٢. عرف المناسبة في اللغة والاصطلاح؟
٣. عدد ثلاثة كتب اعتنت بالمناسبات؟
٤. لخص رأي محمد عبده في أهمية بيان محور السورة؟
٥. اذكر اسم الكتاب الذي تحدث فيه دراز عن الوحدة الموضوعية؟

٢.٤ منهج معرفة تفسير القرآن الكريم لطالب التفسير:

على من أراد أن يقف على تفسير آيات كتاب الله عز وجل أن يلاحظ الأمور التالية:

١.٢.٤ أن يطلب المعنى من القرآن: فالآية قد تفسرها آيةٌ أخرى من القرآن الكريم، وما أوجز في آيات قد بسط في آيات أخرى، وما أُجمل في بعضها، بيّن في غيرها، فإن لم يجد فعليه أن يطلب المعنى من السنة النبوية لأنها شارحة للقرآن وهي مليئة بالتفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فان أعياه الطلب رجع إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم فهم أدرى بالتنزيل وظروفه وأسباب نزوله، فإن لم يجد في أقوال الصحابة فلينظر في أقوال التابعين عسى أن يجد في أقوالهم ما يعينه على فهم التفسير.

٢.٢.٤ الوقوف على أسباب النزول وقصة الآيات وموقع الآيات من السورة، فإن لكل سورة من سور القرآن روحاً يسري في آياتها ويسيطر على مبادئها وأحكامها وتوجيهاتها وأسلوبها، يقول الواحدي (ت:٤٦٨ هـ): " لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها".

إذ يتم به الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها، قال الشيخ تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد (ت:٧٠٢هـ): " بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"، وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) : " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب". (انظر: السيوطي، لباب النقول: ص: ١٣، وشحاتة د.عبد الله، القرآن والتفسير ص:١٤٨).

٣.٢.٤ معرفة الناسخ والمنسوخ من آيات السورة:

فالمفسر يفرق من خلال هذا العلم بين الآيات المحكمة من الآيات المنسوخة.

٤.٢.٤ الحذر من الوقوع في الإسرائيليات

هناك العديد من المفسرين ذكروا الإسرائيليات في كتبهم لا لجهل منهم، ولا اعتقاداً بها، ولكن بقصد الاستئناس فقط، أو بقصد الترغيب والتشويق خاصة في موضوع القصص، وذكرها بعضهم لغرض التنبيه على بطلانها.

٥.٢.٤ البعد عن الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والتوقف عن الأحاديث الضعيفة في التفسير:

وهذا نجده في كتب التفسير، ولعلك – عزيزي الدارس أرشدك الله إلى نور الهداية – تسأل هنا لماذا أورد المفسرون في تفاسيرهم مثل هذه الأحاديث...وهنا نقول لك: إن العديد منهم ذكروا الروايات بأسانيدها واكتفوا بذلك، وهم إذ فعلوا ذلك إنما فعلوه لأناس عاشوا في عصرهم كان العلم لغتهم، وقواعد التحديث منهجهم، فكان الواحد منهم إذا نظر في اسناد رواية ما عرف من كان فيها من الوضاعين والضعفاء، فابن جرير – رحمه الله – يشهد بنفسه على بعض الروايات التي يرويها بالضعف حيث يقول بعد رواية أوردها في تفسيره:"فان كان ذلك صحيحاً ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً..." (ابن جرير: ١٥٦/١).

٦.٢.٤ عدم الاسترسال فيما لا فائدة فيه:

على المفسر أن لا يسترسل في الوقوف على تفاصيل القصص وما لا فائدة فيه، ولا حاجة إلى معرفته كاختلاف أقوال المفسرين في اسم الغلام الذي قتله الخضر – عليه السلام – واسم كلب أصحاب الكهف، واختلافهم في جزء البقرة الذي ضرب به القتيل، فقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة مختلفة ولا حجة في شيء منها، كما أنه أمر لا يترتب عليه أهمية، قال ابن جرير:"والصواب من القول في تأويل قوله (فقلنا اضربوه ببعضها) [البقرة: ٧٣] أن يقال : أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به حجة من أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به، وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب، وغضروف الكتف، وغير ذلك من أبعاضها، ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله". (ابن جرير: ٣٦٠/١).

٧.٢.٤ البعد عن غرائب التفسير:

غرائب التفسير تشبه الحديث المنكر أو الغريب، والمراد بها ما قيل في القرآن من الأقوال الغريبة التي لا يحل حمل القرآن عليها ولا يحل ذكرها على سبيل التحذير منها نحو قول من قال(الم): معنى (ألف) أَلِفَ الله محمداً فبعثه نبياً، ومعنى (لام) لامه الجاحدون وأنكروه، ومعنى (ميم) مَيمَ الجاحدون المنكرون، من المؤم وهو البرسام، وهو علّة.

ومن ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى (ولكن ليطمئن قلبي) [البقرة: ٢٦٠]: إن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه، أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً.

٨.٢.٤ مراعاة التناسب بين فقرات الآية الواحدة، وبين الآيات بعضها مع بعض

وذلك لإظهار الوحدة الموضوعية بين الآيات السابق منها واللاحق مما يوضح أن القرآن تتناسب آياته ويأخذ بعضها بحجز بعض.

٩.٢.٤ البدء بتفسير ما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة، والصرف، والاشتقاق، والمؤاخاة بين المفردات

وإن مما ننصح به طالب العلم أن يقرأ القرآن من المصاحف المفسرة التي تبيّن معاني المفردات، لأن معرفة المعاني تعين على الفهم الذي يوصل إلى تدبر آيات كتاب الله. وعلينا أن نلحظ هنا أن كل لفظة من كتاب الله تعالى لها موقعها الخاص بها بحيث أنك لو حاولت ومن خلال قواميس اللغة أن تجد كلمة بديلة لأخرى من كتاب الله فإنك لن تجد إلا إذا كانت الأخرى قراءة متواترة. ومن الجيد أن يستعين الطالب بكتاب (المفردات في غريب القرآن) لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، كما أن الواجب أن يلمَّ الطالب بأصل الكلمة وتصاريفها حتى تتفتح قريحته لإدراك المعاني الواسعة المحيطة بالمفردات القرآنية.

١٠.٢.٤ ملاحظة الوجه الإعرابي والبلاغي للتراكيب القرآنية، والوقوف على معانيها وعلى الإعجاز البياني للقرآن الكريم

فان القرآن الكريم جاء بنظم أعجز البلغاء والفصحاء، وشهد له الخصوم اللد، حيث شنَّف آذانهم وأنطق ألسنتهم بمدحه من حيث لا يشعرون، غير أن غيهم وعنادهم وكبرهم منعهم من الإيمان به، ويمكن للطالب هنا أن يقف على سرِّ تميز القرآن الكريم عن سائر نظوم العرب من خلال الرجوع إلى كتب الإعجاز المختلفة، وكتب التفسير التي أظهرت الجانب البياني للقرآن الكريم كتفسير (الكشاف) للزمخشري، وكذلك كتب إعراب القرآن نحو (إعراب القرآن الكريم وبيانه) محيي الدين الدرويش.

١١.٢.٤ مطابقة التفسير للكلام المفسَّر من غير نقص ولا زيادة، وموافقة سياق الآيات

إذ ينبغي للكلام المفسِّر أن يكون موافقاً للمفسَّر بحيث يوضح المعنى الذي جاءت الآيات تقرره، فلا يفترض فيه أن يأتي بمعان جديدة لم تكن مرادة للآيات، ولا أن يكون نافراً عما سيقت الآيات لبيانه والكلام عنه.

١٢.٢.٤ تقديم المعنى الحقيقي على المعنى المجازي:

فإنه لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر حمل النص على الحقيقة فيكون المراد هو المعنى المجازي.

١٣.٢.٤ الوقوف على التفسير العلمي للآيات إن وجد

ويمكن الوقوف على تفسير الآيات القرآنية بالحقائق العلمية الثابتة وذلك وفق شروط التفسير العلمي للآيات القرآنية.

١٤.٢.٤ الجمع بين الأقوال المختلفة:

على المفسر أن يتقن الجمع والتنسيق بين الروايات والأقوال المختلفة في التفسير إذا كانت محتملة، وأن يكون يقظاً إذا تعذر الجمع بينها بأن يرجح ويختار ما يناسب النص منها.

١٥.٢.٤ استنباط الدروس والعبر

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وعلى المفسر أن يتدبر آياته ويستخرج ما ترشد إليه الآيات على أن يكون استنباطه مضبوطاً بما سبق ذكره في النقاط السابقة، ومنسجماً مع اللغة والشريعة، وذلك حتى يُنْزِل أحكام الآيات على الواقع المعاصر، فالقرآن بما يُستنبط منه من الفوائد والدروس والعبر والعظات صالح لكل زمان ومكان.

أسئلة التقويم الذاتي (٦)

١. لماذا أورد المفسرون في تفاسيرهم العديد من الإسرائيليات والروايات الموضوعة.
٢. ما المقصود بغرائب التفسير؟
٣. متى يصار إلى المجاز في تفسير الآية؟
٤. هل يجوز تفسير القرآن بالنظريات العلمية؟

٥. أسباب الاختلاف في التفسير

أخي الطالب أختي الطالبة علمت من قبل في مساق علوم القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه الكثير من معاني القرآن غير أنه لم يفسر القرآن كله، وكان عليه الصلاة والسلام يجيب الصحابة عما أشكل عليهم من تفسير القرآن الكريم، وأيضاً فقد كان الصحابة بطبيعتهم يفهمون القرآن بسليقتهم فهم أهل العربية والبيان، وكانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، لأجل ذلك تعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

ولم يكن ثمة خلاف بين الصحابة في تفسير القرآن الكريم، فالنبي عليه السلام بين ظهرانيهم يجيب عن أسئلتهم إذا أُشكل عليهم تفسير شيء من كتاب الله، روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه، قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم). [لقمان: ١٣] (البخاري، صحيح البخاري رقم(٣١٨١) (٣ / ١٢٢٦) ورقم (٣٢٤٦) (٣ / ١٢٦٢) ، ومسلم، صحيح مسلم، رقم ١٢٤، ١ / ١١٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا وإن رسول اله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة". (أحمد، المسند، رقم (٢٤٦)، ١ /٣٦، وابن ماجه، سنن ابن ماجه رقم (٢٢٧٦)، (٧٦٤/٢).

فدل هذا على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يُشْكِل عليهم فيفهموا بيانه وتفسيره من الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن منطلق وصية الرسول عليه السلام لأصحابه بتبليغ هذا الدين قائلاً لهم:"بلغوا عني ولو آية" (البخاري، رقم(٣٢٧٤) (١٢٧٥/٣) فقد قام الصحابة بدورهم بتعليم التابعين تفسير القرآن الكريم، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة فقد وردِ عن مجاهد بن جَبْر قال:"عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها". (ابن كثير، ٦/١).

ومن هنا فإنه يمكن القول : إن الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. (انظر هذا في، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦١/٥، و ٣٨١/١٣)، وابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير (ص: ٣٧-٤٣)، والإتقان (١٧٦/٤)).

وسنحدثكَ -أخي الطالب أختي الطالبة- عن سبب اختلاف المفسرين وفق مرحلتين، الأولى نبين لك فيها بعض الصور والأسباب التي أظهرت تباين أقوال المفسرين في عهد الصحابة وأئمة التابعين، والثانية نبين لك فيها أسباب الاختلاف عند المفسرين عموماً.

١.٥ أسباب توهم اختلاف التفسير عن الصحابة وأئمة التابعين

١.١.٥ أن يكون بعض المنقول عنهم ضعيفاً

فمن المعلوم أن تفسير الصحابي والتابعي هو من قبيل التفسير بالمأثور لأنه لا يمكن لنا أن نقف على تفاسيرهم إلا من خلال الرواية، وقد تكون بعض هذه الروايات من قبيل المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا وقفنا على روايات متعارضة في التفسير عن الصحابة وأمكن لنا أن نميز الصحيح من الضعيف فإننا نقدم الصحيح، ويمكن التمثيل لذلك بما ورد في سبب نزول سورة الضحى فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال:"اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقمْ ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك". فأنزل الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) [الضحى: ١-٣]، (البخاري، رقم (٤٦٦٧)، (١٨٩٢/٤) ورقم (٤٦٩٨) (١٩٠٦/٤)، ومسلم رقم (١٧٩٧)(١٤٢٢/٣))، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير من طريق حفص بن سعيد القرشي قال: حدثتني أمي عن أمها وكانت خادمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جرواً دخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فدخل تحت السرير ومات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم أياماً لا ينزل عليه الوحي فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم، جبريل لا يأتيني فهل حدث في بيت رسول الله حدث؟ فقلت والله ما أتى علينا يوم خير من يومنا، فأخذ برده فلبسه وخرج، فقلت لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا بجرو ميت فأخذته بيدي فألقيته خلف الدار فجاء نبي الله ترعد لحيته، وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة، فقال: يا خولة دثريني فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) (المعجم الكبير، رقم(٦٣٦)، (٢٤٩/٢٤) وهذه الرواية ضعيفة، ففي إسنادها من لا يعرف هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن متن الرواية أيضاً فيه نظر إذ ليس من المعقول أن يمكث الكلب مدة أربعة أيام –كما جاء في بعض الروايات – ولا تشتم له رائحة، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه سريراً مرتفعاً حتى يتمكن الكلب من الاختباء تحته، وأيضاً هل الوحي لم يكن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم إلا في بيته؟!.

فإذا ثبت ضعف هذه الرواية فإننا نقدم الرواية الأولى لصحتها، وبهذا يتبين أن التعارض الموجود في بيان سبب النزول هنا ليس تعارضاً حقيقياً وأن ما أوهم التعارض هو دخول الرواية الضعيفة.

وعليه فعند اختلاف الروايات في التفسير فإن الرواية الصحيحة تتقدم على الرواية الضعيفة، قال الشوكاني:"ولا اعتبار بما لم يصح كالتفسير المنقول بإسناد ضعيف". (فتح القدير، ١٢/١).

٢.١.٥ أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة تخالف عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد في المسمى

وهذا كما قيل في اسم السيف إنه الصارم، والمهند، والبتار، ونحو أسماء الله وأسماء القرآن، فإن أسماء الله كلها – وإن اختلفت ألفاظها – تدل على مسمى واحد وليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضاداً لدعائه باسم آخر بل الأمر كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى) [الإسراء: ١١٠]، فأنت ترى أن أسماء الله الحسنى كلها تدل على ذاته، ويدل كل اسم منها على صفاته بما لا يدل الاسم الآخر، فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات.

ومثال هذا التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم، فهذا يقول: هو الإسلام، وهذا يقول: هو القرآن، أي اتباع القرآن، وهذا يقول: السنة والجماعة,، وهذا يقول طريق العبودية، وهذا يقول طاعة الله ورسوله، فأنت ترى هنا أن أقوال السلف متعددة، وعباراتهم مختلفة في تفسير (الصراط المستقيم)، ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها، ويسمى بهذه الأسماء كلها، ولكن كل واحد منهم دل على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت.

٣.١.٥ أن يذكر كل واحد من السلف من الاسم العام بعض أنواعه أو أعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب لينبه المستمع إلى النوع لا على سبيل الحصر والإحاطة.

ومن هذا ما جاء عنهم في تفسير قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات) [فاطر: ٣٢].

فالقول الجامع في تفسير هذه الآية: أن الظالم لنفسه: هو المفرط بترك مأمور أو فعل محظور، والمقتصد: القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات، والسابق بالخيرات بمنزلة المقرب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق.

وإذا نظرنا في التفسير المنقول عن السلف رضوان الله عليهم أجمعين نجد أن كلاً منهم يذكر نوعاً من هذا.

فإذا قال القائل: الظالم هو المؤخر للصلاة عن وقتها، والسابق المصلي لها في أول وقتها حيث يكون التقديم أفضل.

وقال آخر: الظالم لنفسه هو البخيل الذي لا يصل رحمه ولا يؤدي زكاة ماله، والمقتصد: القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم، وقرى الضيف، والإعطاء في النائبة، والسابق: الفاعل المستحب بعد الواجب كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جاء بماله كله فوضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخر: الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لا عن الآثام، والمقتصد الذي يصوم عن الطعام والآثام، والسابق: الذي يصوم عن كل ما لا يقربه إلى الله تعالى.

فإن هذه الأقوال الواردة في تفسير الآية وإن كانت متعددة إلا أنها ليست متنافية ولا متناقضة، بل كل قول منها ذكر نوعاً مما تناولته الآية.

وهذا القول مع سابقة هو الغالب فيما يتوهم فيه اختلاف تفسير سلف الأمة، قال ابن تيمية بعد أن أورد أعلام المفسرين من التابعين "...فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، فإنِّ منهم من يعبر عن الشيء بلازمة أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن" (فتاوى ابن تيمية،١٣/٣٧٠، وتفسير ابن كثير، ١/٦).

ويقرب من هذا ما نبه إليه الزركشي حيث قال: "يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظنُّ مَنْ لا فهم عنده أن في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهرُ عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع، فليُتفطن لذلك، ولا يُفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات كما قيل:

عباراتُنا شتّى وحسُنك واحدٌ

وكلٌّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ

هذا كله حيث أمكن الجمع، فأما إذا لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم عنه إن استويا في الصحة، وإلا فالصحيح المقدم، وكثيراً ما يذكر المفسرون شيئاً في الآية على جهة التمثيل لما دخل في الآية، فيظن بعض الناس أنه قَصَر الآية على ذلك" (البرهان (٢/٧٦-١٧٧).

٤.١.٥ أن يذكر أحدهم لنزول الآية سبباً ويذكر الآخر سبباً آخر لا ينافي الأول، ومن الممكن نزولها لأجل السببين جميعاً أو نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا.

ويمكن أن نمثل لتعدد أسباب النزول بما أخرجه البخاري وغيره في سبب نزول قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) إلى آخر الآيات [النور: ٦-٩].

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: البينة أوْحد في ظهرك، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل يقول –عليه السلام – البينة وإلا حد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه (والذين يرمون أزواجهم) ...الحديث (البخاري رقم (٢٥٢٦)، ٩٤٩/٢، ورقم (٤٤٧٠)، (١٧٧٢/٤)).

فهذه رواية صحيحة في سبب نزول الآية أخرجها البخاري في صحيحه، ومع ذلك فقد أخرج البخاري أيضاً في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن عويمراً أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان، فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه! أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأتى عاصمٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله...فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها، فقال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فجاء عويمر فقال:" يا رسول الله؛ رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملاعنة..الحديث". (البخاري، رقم (٤٤٦٨) (١٧٧١/٤)). قال الزرقاني: "فهاتان الروايتان صحيحتان، ولا مرجح لإحداهما على الأخرى، ومن السهل أن نأخذ بكلتيهما لقرب زمانيهما، على اعتبار أن أول من سأل هو هلال بن أمية، ثم قفاه عويمر قبل إجابته، فسأل بواسطة عاصم مرة وبنفسه مرة أخرى، فأنزل الله الآية إجابة للحادثين معاً، ولا ريب أن إعمال الروايتين بهذا الجمع أولى من إعمال إحداهما وإهمال الأخرى إذ يمنع الأخذ بهما على ذلك الوجه، ثم لا جائز أن نردّهما معاً لأنهما صحيحتان ولا تعارض بينهما، ولا جائز أيضاً أن نأخذ بواحدة ونردّ الأخرى لأن ذلك ترجيح بلا مرجح، فتعين المصير إلى أن نأخذ بهما معاً". (الزرقاني، مناهل العرفان، (١٢٠/١).

وانظر مسألة تكرار النزول عند الزرقاني (١٢٠/١) علماً أن هذه المسألة خلافية بين العلماء ليس هذا مكان بحثها، والذي تطمئن إليه النفس أنه لا مانع من تكرار النزول، وما استزادة الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل حين نزل بالقرآن إلا من هذا القبيل، إذ الأحرف السبعة لم تنزل إلا في المدينة المنورة وفق الروايات الصحيحة الثابتة التي عينت مكان نزولها، وهي – أي الحرف السبعة – لم تكن خاصة بالسور المدنية بل شملت السور المكية التي نزلت من قبل فتعين أنها نزلت مرة ثانية وفق الأحرف السبعة.

تنبيه:

يتبين لنا من خلال ما سبق ذكره أن الخلاف الذي كان بين السلف إنما هو في جله خلاف تنوع وليس خلاف تضاد، ومع ذلك فإن ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض فهو قليل جداً، كما أن تنازعهم

في بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والحج والفرائض والطلاق، ونحو ذلك لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وجملها منقولة عنه بالتواتر، ويمكن أن يكون مرد ذلك مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة (انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٣/٥).

٢.٥ أسباب اختلاف التفسير عند المفسرين عموما

إضافة لما سبق بيانه من الأمور التي أدت إلى ظهور الخلاف بين الصحابة و أئمة التابعين فهناك أمور أخرى (انظر:الذهبي، التفسير والمفسرون(١٣٢/١)، والعك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده (ص:٨٦)، والشاعر، تمام، منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين بإشراف د.محسن الخالدي،ص:٣١).

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الخلاف بين المفسرين في الأمور التالية:

١.٢.٥ اختلاف القراءات

وذلك بأن يكون في الآية الواحدة قراءتان أو قراءات، فيفسر كل منهم حسب قراءة مخصوصة فيظن ذلك اختلاف وليس كذلك ومن أمثلته:

قوله سبحانه (وما هو على الغيب بضنين)[التكوير:٢٤]فقد قرئت(ضنين) بالضاد والظاء.

فالقراءة بالضاد معناها أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يبخل عليهم بتعليمهم وإبلاغهم ما أنزل الله إليهم، من ضنّ بالشيء إذا بخل به، والقراءة بالظاء معناها أنه غير متهم فيما يخبرهم به عن الله أن يغيره أو يزيد فيه لأن الظنين هو المتهم.

وكل من المعنيين:–البخل والاتهام– منقول عن المفسرين، ومعناه صحيح لأنه مستند لقراءة صحيحة متواترة، وهذا كثير في كتب التفسير، ولا يعد اختلاف التفسير الناشىء عن اختلاف القراءات اختلافا حقيقياً بين المفسرين لأن هذه الأقوال لا تفسر الشيء ذاته تفسيرات متباينة، بل هي تختلف لاختلاف القراءات في الآية، ولا يخفى أن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات.

وقد يترتب على اختلاف القراءة اختلاف وجوه الإعراب وبالتالي تعدد التفسير وذلك نحو قوله سبحانه(فتلقى آدمُ من ربه كلمات)[البقرة:٣٧] برفع آدم ونصب كلمات وبالعكس، فالأول: على معنى أن آدم عليه السلام هو الذي استقبل الكلمات بالأخذ والقبول، وعلى الثاني: إن الكلمات هي التي استقبلت آدم عليه السلام.

٢.٢.٥ الاختلاف في المعنى اللغوي للكلمة

ومثاله قوله تعالى(قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماءٍ معين)[الملك:٣٠] فقد اختلف المفسرون في تفسير (معين):

فقيل:إنه ظاهر تراه العيون، فعلى هذا أصله معيون بوزن مفعول، كمبيع أصله مبيوع.

وقيل: هو من معن الماء أي كثر، فهو على هذا فعيل لا مفعول، فالميم على الثاني أصليه وعلى الأول زائدة.

لذلك احتملت كلمة معين كثرة الماء وجريانه، أو أنه ظاهر سهل المأخذ وكلا المعنيين يوافق تفسير الآية.

٣.٢.٥ اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر

فقد تدل الكلمة القرآنية على أكثر من معنى فيختلف العلماء في تحديد المراد منها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى(فأصبحت كالصريم)[القلم:٢٠] فقد ذكر المفسرون فيها أربعة أقوال:

الأول: أصبحت كالليل ، لأنها اسودت لما أصابها ، والصريم في اللغة الليل.

الثاني: أصبحت كالنهار، لأنها ابيضت كالحصيد، ويقال: صريم الليل والنهار.

الثالث: الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب.

الرابع:أصبحت كالصريم، كالمصرومة، أي المقطوعة.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)[البقرة:٢٢٨]،والقرء في اللغة يطلق على الطهر ويطلق على الحيض، لذلك فقد اختلف المفسرون في بيان المراد من الآية فذهب بعضهم إلى أن عدة المطلقة ثلاثة أطهار ، وذهب فريق آخر إلى أن عدتها ثلاث حيضات، وكلاهما قد استفاد من دلالة(قروء) على المراد الذي أيده.

٤.٢.٥ احتمال الإطلاق والتقييد في الآية

ومثال ذاك قوله تعالى في- كفارة اليمين-(فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) [المائدة:٨٩] فقد اشترط أبو حنيفة والثوري التتابع فيها واستندا إلى قراءة شاذة هي ما روي عن أبي بن كعب وابن مسعود رضي الله عنهما أنهما قرءا (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) فعّدا التتابع شرطاً في صيامها، وجوّز الشافعي صيامها متفرقة لأنه لا يرى القراءة الشاذة حجة، وحمل الآية على الإطلاق ولم يقيدها بلفظ(متتابعات).

٥.٢.٥ احتمال العموم والخصوص

ومن أمثلته قوله تعالى(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)[النساء:٥٤] قيل في المراد بالناس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث حسدوه أن أعطاه الله سبحانه النبوة.

وقيل: المراد به من أرسل منهم النبي أو آل النبي صلى الله عليه وسلم، فعلى التفسير الأول يكون لفظ(الناس) خاصاً، وعلى التفسير الثاني يكون عاماً.

٦.٢.٥ احتمال الحقيقة والمجاز

ومثال ذلك قوله تعالى:(وأنه هو أضحك وأبكى)[النجم:٤٣] أي خلق سبحانه في آدم الضحك المعروف والبكاء المعروف، وعلى هذا التفسير يكون النص على الحقيقة.

وثمة قول آخر ذكره المفسرون: أنه أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر، وهذا من قبيل المجاز، والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح، كما أن البكاء دليل على الحزن.

٧.٢.٥ أن يكون الكلام في الآية محتملا للتقديم والتأخير

ومثال ذلك قوله سبحانه لعيسى عليه السلام(إني متوفيك ورافعك إليّ)[آل عمران :٥٥]،قيل هذا من المقدم والمؤخر، أي رافعك إليّ ومتوفيك، وهذا أحد تأويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية للمشهور المصرح به في الآية الأخرى وهي قوله تعالى(وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه)[النساء:١٥٧/١٥٨].

وقيل: المراد إني قابضك ومتوفي شخصك من الأرض، من توفى المال بمعنى استوفاه وقبضه، وقيل: إن المراد بالوفاة هنا: النوم، لأنهما أخوان ويطلق كلّ منهما على الآخر، وقيل: معناه أجعلك كالمتوفى لأنه بالرفع يشبهه.

٨.٢.٥ أن يكون في الآية محذوف، فيختلف العلماء في تقديره

ومثال ذلك قوله تعالى عن المنافقين(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون)[البقرة:٩].

ومن الظاهر هنا أن الآية لم تعيِّن ما يشعرون به، وقد ذكر المفسرون في تحديد ذلك قولين:

الأول:(وما يشعرون) إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على كذبهم.

الثاني: (وما يشعرون) إضرارهم أنفسهم بكفرهم.

٩.٢.٥ احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما

والملاحظ أن بعض العلماء قد بالغوا في النسخ وتوسعوا فيه وعدوا كل ما شأنه أن يكون متسامحاً أو عفوا أو حثاً على الصبر وتحمل أذى الكفار أيام ضعف المسلمين من باب المنسوخ بآيات القتال مع أنها ليست منسوخة، فالصبر حيث الضعف، والجهاد حيث القوة، ومنشأ تزيدهم من ذكر الناسخ والمنسوخ في القرآن أنهم انخدعوا بكل ما نقل عن السلف انه منسوخ، وفاتهم أن السلف لم يكونوا يقصدون بالنسخ هذا المعنى الاصطلاحي، بل كانوا يقصدون ما هو أعم منه مما يشمل بيان المجمل وتقييد المطلق ونحوهما.(انظر الزرقاني، مناهل العرفان(٢/٢٧٤) وقد حصر السيوطي ما يصلح لدعوى النسخ من آيات القرآن في اثنتين وعشرين آية ثم ذكر أن ما صح القول فيه أنه منسوخ قليل جداً.(انظر:السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣/٦٤).

ويمكن التمثيل لاختلاف المفسرين في الناسخ والمنسوخ في قوله تعالى(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين)[البقرة:١٨٠) فالآية تفيد أن الوصية للوالدين والأقربين فرض مكتوب وحق واجب على من حضره الموت من المسلمين، وقد اختلف في نسخ هذه الآية وفي ناسخها، فقيل" إنها منسوخة بآية المواريث، وقيل: بالسنة، وقيل: بإجماع الأمة على عدم وجوب الوصية للوالدين والأقربين.

وذهب فريق من المفسرين إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، وحملها بعضهم على أن الوصية واجبة على من حُرم الإرث من الأقربين، وبعضهم يحملها على من له ظروف تقتضي زيادة العطف عليه..."(الزرقاني، مناهل العرفان (٢٧٦/٢).

نشاط (٤)

ارجع إلى كتب علوم القرآن ولخص الأسباب التي أدت إلى مبالغة بعض العلماء في حجم الناسخ والمنسوخ. يمكنك الرجوع إلى كتاب مناهل العرفان للزرقاني (٢٧٣/٢).

١٠.٢.٥ أن يرد في آية ضمير أو اسم إشارة فيختلف العلماء فيما يرجع إليه الضمير أو اسم الإشارة لأن سياق الآيات فيه أكثر من جهة، أو لأن نظم الآية يحتمل تعدد المقصود

ومثال ذلك قوله تعالى(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) [البقرة: ٢٣] فالضمير في مثله قد يعود على القرآن أو على محمد صلى الله عليه وسلم، قال السيواسي: "أي من مثل القرآن، يعني على صفته في البيان الغريب وحسن النظم، وعلوه في الطبقة، أو من مثل محمد عليه الصلاة والسلام، يعني: من بشر يشبهه عربياً أمياً لم يقرأ الكتاب، ولم يتعلم من أحد" (عيون التفاسير، ١١٩/١).

تدريب (٤)

قال تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، وما كنت متخذ المضلين عضُدا) [الكهف: ٥١]. ارجع إلى تفسير هذه الآية وبيّن الأقوال في عود الضمير الوارد في قوله تعالى (ما أشهدتهم).

١١.٢.٥ اختلاف المفسرين في تحديد المخاطب

ومثال ذلك قوله تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) [البقرة:٢٣] ،قال بعضهم: هذا الخطاب لليهود..أي فأتوا بسورة من التوراة وقابلوها بالقرآن فتجدوها موافقة لما في التوراة فتعلموا به أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يختلقه من تلقاء نفسه وأنه من الله تعالى، وادعوا بأحباركم ورهبانكم يعني عُبَّادكم. وقال بعضهم: نزلت في شأن المشركين، أي إن كنتم في شك مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن وتقولون: إنه اختلقه من تلقاء نفسه، فاختلقوا سورة من مثل القرآن لأنكم شعراء وفصحاء، واستعينوا بآلهتكم، ومن الملاحظ هنا أن تفسير الآية اختلف وفقاً لتحديد المخاطب بها.

١٢.٢.٥ أن يذكر في الآية عدة أشياء ثم ترد كلمة متعلقة بما قبلها، فيختلف العلماء بما تعلقت به، ومثال ذلك قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

فكلمة كافة يمكن أن ترجع إلى (السلم) فيكون المعنى: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، ويمكن أن ترجع إلى الداخلين فيه، فيكون المعنى: ادخلوا كلكم في الإسلام.

١٣.٢.٥ أن يختلف العلماء في تحديد المستثنى منه، وفي (ما) موصولة أو نافية، والعطف، ونحو ذلك

ومثال اختلافهم في تحديد المستثنى منه قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا) [النور: ٤،٥].

فذهب مالك والشافعي إلى أن الاستثناء إذا تعقب جملاً معطوفة عاد إلى جميعها، وعند أبي حنيفة وجل أصحابه الاستثناء إلى أقرب مذكور وهو الفسق، ولهذا لا تقبل شهادته (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/١٨٠).

وسيأتي مزيد بيان لهذه الآية عند تفسير سورة النور.

ومثال (ما) قوله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل) [البقرة: ١٠٢].

فذهب بعض المفسرين إلى أن (ما) في قوله (وما أنزل) نافية أي أن السحر لم ينزل على الملكين البتة، وأن هاروت وماروت كانا رجلين يتظاهران بالتقوى والصلاح في بابل، فظن الناس أنهما ملكان، وذهب فريق آخر من المفسرين إلى أن (ما) موصولة وأن الملكين هاروت وماروت أُنزلا من السماء لاختبار الناس وامتحانهم، فلله أن يختبر عباده بما شاء وكيف شاء، وقد امتحن بإبليس – وهو أساس الشر – فلا عجب إذن أن يختبرهم بالملكين الذين بينا للناس أن السحر فتنة مؤدية للكفر.

وختاماً: فإن اختلاف المفسرين في غالبه يعود إلى ما اتسم به النظم القرآني من غزارة المعاني وتنوع أساليب البيان، أخرج سعيد بن منصور عن سفيان قال: "ليس في تفسير القرآن اختلاف إنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا" (سنن سعيد بن منصور (ت:٢٢٧)، رقم (١٠٦١، (٥/٣١٢)، وفي روايات عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:"إن القرآن حمّال ذو وجوه" (انظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مفتاح الجنة، ص:٥٩).

أسئلة التقويم الذاتي (٧)

١. ورد في نزول سورة الضحى سببان، أذكرهما وبين الراجح منهما مع التعليل.
٢. عدد الأسباب التي أوهمت اختلاف الصحابة في التفسير.
٣. مع أن الاختلاف الوارد عن الصحابة في معظمه اختلاف تنوع إلا أن هناك بعض المواضيع كان الخلاف فيها اختلاف تضاد، وضح ذلك مع المناقشة.
٤. هل اختلاف المفسرين وفق القراءات القرآنية يعد سبباً جوهرياً لاختلاف المفسرين؟
٥. من أسباب اختلاف المفسرين اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر، اشرح ذلك مع التمثيل.

٦. فسِّر قوله تعالى (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) على ضوء التقييد الوارد في قراءة ابن مسعود بأنها أيام متتابعات.

٧. وضح إلى من يعود الضمير في قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله)؟

٦. أهم كتب التفسير واشهرها

١.٦ جامع البيان عن تأويل آي القرآن

مؤلف التفسير: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ولد سنة (٢٢٤هـ) وتوفي سنة (٣١٠) هـ.

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. يعد تفسير ابن جرير من أهم كتب التفسير وأجلها وأعظمها: قال النووي: "كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحدٌ مثله". (تهذيب الأسماء واللغات: ٧٨/١).

٢. ينقل أقوال السلف بأسانيدها.

٣. جمع بين العقل والنقل، فهو يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ويخوض في الإعراب والاستنباط.

٤. اهتم بالمذاهب النحوية والأحكام الفقهية.

٥. يذكر في تفسيره الروايات الضعيفة وبعض الإسرائيليات بإسنادها إلى من اشتهر بها وهم: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج، والسدي، وغيرهم ثم لا يتعقب هذه الروايات بالتضعيف لأنه اعتمد منهج المحدثين

المقرر في أصول الحديث: من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند، وأحياناً ينتقد رجال السند بتجريح أو تعديل.

٦. يقف عند القراءات في الآية القرآنية ويعمل على توجيهها.

تدريب (٥)

ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة فيما يلي:

٨. أطلق (الطبري) على محمد بن جرير نسبه إلى:

أ. ضلوعه في العلم

ب. طبريا

ج. طبرستان

د. لاشتهاره بالطب

٩. يعد تفسير ابن جرير من كتب التفسير:

أ. الإشاري

ب. بالمأثور

ج. بالرأي

د. جمع بين المأثور والرأي.

٢.٦ بحر العلوم

مؤلف التفسير:

هو الإمام نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، المعروف بإمام الهدى، وهو إمام من أئمة الحنفية، توفي سنة (٣٧٣ هـ) وقيل سنة (٣٧٥هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. يعرض للقراءات ويشرح القرآن بالقرآن.

٢. يعرض لموهم الاختلاف والتناقض في القرآن ويزيل هذا الإيهام.

٣. يذكر العديد من الروايات بإسناده إلى السلف إلا أن غالب ما يذكره في التفسير يذكره بلا إسناد.

٤. يروي بعض الإسرائيليات ويخرج من رواية الضعفاء دون تعقيب على هذه الروايات.

٥. يجمع هذا التفسير بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية إلا أن جانب النقل هو الغالب مما جعل العديد يصنفونه على أنه من كتب التفسير بالمأثور.

٣.٦ معالم التنزيل:

مؤلف التفسير:

هو الإمام الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، أو ابن الفراء، البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر الشهير بـ "محي السنة"، نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان توفي سنة (٥١٦ هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. يفسر الآيات بعبارات واضحة وموجزة.

٢. ينقل ما جاء عن السلف في تفسير الآية من غير ذكر الإسناد.

٣. ينقل في تفسيره بعض الإسرائيليات والأخبار الواهية، فعند الآية (١٢) من سورة المائدة يقول عن أحد الجبارين في الأرض المقدسة "وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله" (معالم التنزيل: ٢/٢٠).

٤. يرى ابن تيمية أن تفسير البغوي قد اختصره مؤلفه من تفسير الثعلبي الموسوم ب "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه.

٤.٦ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:

مؤلف التفسير:

محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، المعتزلي الحنفي الملقب بجار الله، وقد لقب بذلك لأنه سافر إلى مكة وجاور الحرم زمناً، ولد سنة (٤٦٧ هـ) في قرية زمخشر من قرى خوارزم وتوفي سنة (٥٣٨هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. صنفه مؤلفه وفق مذهب الاعتزال، وفسر الآيات التي فيها خلاف بين أهل السنة وبين المعتزلة على طريقة المعتزلة.

٢. أبان فيه مؤلفه جمال النظم القرآني وسحر بلاغته، وهو من خير الكتب التي يرجع إليها في التفسير من الناحية البلاغية.

٣. خلا التفسير من الحشو والتطويل، وصدر الروايات الإسرائيلية القليلة التي أوردها في تفسيره بلفظ روي المشعر بالضعف، أو أنه يفوض علمها إلى الله، وأحياناً ينبه على درجة الرواية من الصحة.

٤. سلك مؤلفه في تصنيفه طريق السؤال والجواب، فهو يقول عند عرض المسألة: فإن قلت، ثم يجيب هو عن هذا السؤال بقوله: قلتُ.. ويذكر الجواب.

٥. عرض مؤلفه للقراءات الشاذة، وتهجم على بعض القراءات المتواترة.

٦. عرض المسائل الفقهية المتعلقة بالآيات القرآنية بدون توسع ولا تعصب لمذهبه الحنفي.
٧. اظهر مؤلفه وجه التناسب والترابط بين الكثير من جمل الآيات.
٨. يتكلم مؤلفه عن أهل السنة والجماعة بعبارات غير لائقة.

والأصل ردّ هذا التفسير وعدم الاعتماد عليه لما حواه من فكر المذهب الاعتزالي غير أن ما تميز به من الدفاع عن بلاغة القرآن والكشف عن إعجازه بأسلوب عالي القدر رفيع الشأن، زادت من عناية العديد من المفسرين بهذا التفسير. وكثرت الشروح له وأصبح من جاء بعده عيالاً عليه، ومن الجيد الرجوع إلى هذا التفسير ولكن يجب الحذر من الاعتزاليات الواردة فيه، ويمكن تمييزها بالاستعانة بكتاب: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين أحمد بن المنِّير المالكي.

نشاط (٥)

أخي الطالب، أختي الطالبة: رد الزمخشري قراءة ابن عامر المتواترة (عند الآية (١٣٧)) من سورة الأنعام، والمطلوب منك: أ. أن ترجع إلى كتاب الكشاف وتوثق قول الزمخشري. ب. العودة إلى أي كتاب تختاره من كتب القراءات المتواترة وتوثق قراءة ابن عامر.

٥.٦ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

مؤلف التفسير:

هو الإمام القاضي الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، وهو من قضاة الأندلس المشهورين، كان عارفاً بعلوم الحديث والتفسير واللغة والأدب، وهو من أعيان مذهب المالكية، توفي سنة (٥٤١هـ) وقيل سنة (٥٤٦ هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. يفسر القرآن بالقرآن.
٢. لخص ابن عطية تفسيره هذا من كتب التفسير بالمنقول واكثر ما يختار منه من تفسير الطبري، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، وقد يعرج بالرد على رواية والانتقاد لمنقول.
٣. يعد هذا الكتاب جامعاً ودقيقاً للعلوم المختلفة المتعلقة بكتاب الله، فمن المفسرين من اهتم باللغة، وآخر بالأحكام، وثالث بالفلسفة وعلم الكلام...الخ، إلا أن هذا التفسير جاء جامعاً دقيقاً وافياً.
٤. خلا من الإسرائيليات.
٥. لم يكثر مفسره من إيراد وجوه الإعجاز البياني.
٦. كان لمؤلف التفسير شخصية واضحة المعالم في تفسيره، فهو يرجح الأقوال عن قوة واقتدار.

٦.٦ مفاتيح الغيب:

مؤلف التفسير:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين، وعرف بابن الخطيب، والرازي نسبة إلى الري في العراق – على غير قياس – وكان إماماً في المذهب الشافعي، وإمام عصره في العلوم العقلية، وكان عالماً بالتفسير واللغة، توفي سنة (٦٠٦ هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. لم يتم الرازي تأليف تفسيره بل على الأرجح أنه كتب فيه إلى سورة الأنبياء وأتمه من بعده – على الأرجح – نجم الدين المخزومي القمولي.

وإن القارئ لهذا التفسير لا يجد تفاوتاً بين المنهج الذي سلكه الرازي ومنهج الذي أتم التفسير، ولا يستطيع التمييز بين الأصل والتكملة.

٢. اهتم الرازي ببيان المناسبات بين سور القرآن وآياته، ويبين الحكمة من هذه المناسبة. وبعد أن يبصر القارئ بالوحدة الموضوعية بين الآيات يقول: إعلم أن في الآية مسائل: المسألة الأولى... وقد تبلغ هذه المسائل تسعة أو اقل أو أكثر.

٣. يذكر الرازي مذاهب الفقهاء عند مروره بآية من آيات الأحكام ويروج لمذهب الشافعي الذي يتبع له.

٤. يكثر الاستطراد إلى العلوم الرياضية والفلكية والفلسفية والطبيعة وغيرها.

٥. يعرض – وبكثرة – آراء الفلاسفة والمتكلمين ويتصدى لها بالرد بالنقد والتمحيص ويدحض حججهم.

٦. يكاد هذا التفسير يخلو من الإسرائيليات، وقد ذكر العديد منها ثم بين فسادها وبطلانها.

٧. يفرع الموضوع إلى مسائل، ويطرح أسئلة ثم يجيب عليها.

ومما يعاب على هذا التفسير أن الرازي أفرط في شرح شبه المعتزلة والفرق الأخرى قبل الرد عليهم إضافة إلى تقصيره في الرد، مما جعل بعض المحققين يتهمونه بأنه روج لها بدلاً من نقضها.

قال السيوطي :" وصاحب العلوم العقلية – خصوصاً الإمام فخر الدين – ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء، حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورَد للآية، قال أبو حيان في البحر: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير؛ ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير". (الإتقان، ٢١٣/٤).

والحق أن هذا التفسير له قيمة عظيمة إلا أن مؤلفه قد توسع وشعب العديد من المسائل وربما أتى بمسائل تكاد تكون بعيدة عن التفسير إلا أن هذا هو منهج المؤلف في تفسيره فقد أشار في مقدمته أنه يمكن له استنباط المسائل الكثيرة من الألفاظ القليلة فقال:"إن قوله جل جلاله (الحمد لله) مشتمل على ألف ألف مسئلة أو أكثر أو أقل" (التفسير الكبير، ١ / ٦)، وقال:"إعلم أنا إذا ذكرنا مسئلة واحدة في هذا الكتاب ودللنا على صحتها بوجوه عشرة، فكل واحد من تلك الوجوه والدلائل مسئلة بنفسها، ثم إذا حكينا فيها مثلاً شبهات خمسة فكل واحد منها

أيضاً مسئلة مستقلة بنفسها، ثم إذا أجبنا عن كل واحد منها بجوابين أو ثلاثة فتلك الأجوبة الثلاثة أيضاً مسائل ثلاثة،...الخ" (التفسير الكبير، ١ / ١٢). .

وهكذا فإن هذا التفسير يتميز بكثرة التشعيب والتفريع،ومعلوم أن أفهام الناظرين في كتاب الله تتفاوت كما تتفاوت اختصاصاتهم واهتماماتهم وربما وجد بعضهم في تفسير الرازي دون غيره ما يفتح قريحته وينير بصيرته.

٧.٦ الجامع لأحكام القرآن:

مؤلف التفسير:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْحْ الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، من كبار المفسرين ومن أعيان المذهب المالكي توفي (سنة ٦٧١ هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. أسقط منه مؤلفه كثيراً من القصص والتواريخ وأثبت عوضاً عنهما أحكام القرآن واستنباط الأدلة.
٢. ذكر فيه القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ.
٣. أضاف مصنفه الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها.
٤. فيه رد على المعتزلة والقدرية والفلاسفة وغلاة المتصوفة.
٥. ينقل القرطبي كثيراً عن تفسير ابن عطية، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي، وتفسير ابن جرير الطبري.
٦. لم يقتصر القرطبي في تفسيره على آيات الأحكام فقط بل إن تفسيره شامل لما يتعلق بالآية فهو يقدم ذكر سبب النزول، ثم يذكر القراءات ووجوه الإعراب فيها، ثم يشرح الغريب من الأقوال، وبعد هذا يبدأ ببيان الأحكام ويفيض في ذكر مسائل الخلاف وما يتعلق بها من قريب أو بعيد مع بيان أدلة كل فريق.

تدريب (٦)

أخي الطالب أختي الطالبة: هناك كتب أطلق عليها (أحكام القرآن) والمطلوب منك أن توضح المقصود بهذا العنوان وأ؟ن تمثل لها بثلاثة مراجع.

٨.٦ البحر المحيط:

مؤلف التفسير:

الإمام أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، أبو عبد الله، الشهير بأبي حيان توفي سنة (٧٤٥هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

تكلم أبو حيان في مقدمة تفسيره عن المنهج الذي سلكه في تفسيره وهو يتلخص فيما يلي:

١. ابتدأ الكلام عن مفردات الآية التي يفسرها لفظة لفظة مبيناً ما يتعلق بها من النحو والتصريف.
٢. ذكر ما يتعلق بالآية المراد تفسيرها من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ومناسبتها لما قبلها.
٣. ذكر القراءات المتعلقة بالآية، الصحيحة منها والشاذة مع توجيهها.
٤. ذكر أقوال السلف والخلف في تفسير الآية.
٥. نقل أقوال الفقهاء الأربعة فيما يتعلق بالأحكام الشرعية.
٦. يُتْبع مجموعة الآيات التي تم تفسيرها بما ورد فيها من علم البيان والبديع.
٧. ألمح إلى بعض ألفاظ الصوفية وأعرض عن أقوال الملحدين والباطنية.

وقد طغى على هذا التفسير اهتمام مؤلفه بالمباحث النحوية، وأخذ أبو حيان كثيراً عن تفسير الزمخشري وناقشه في العديد من المسائل.

٩.٦ تفسير القرآن العظيم:

مؤلف التفسير:

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي ابن كثير البصري ثم الدمشقي المحدث الشافعي، كان فقيهاً ومحدثاً ومؤرخاً ومفسراً، انتشرت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته، توفي بدمشق عام (٧٧٤هـ) ودفن بمقبرة شيخه ابن تيمية.

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. يعد تفسير ابن كثير من أصح كتب التفسير بالمأثور إن لم يكن أصحها، التزم مؤلفه فيه تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يجد فإنه يفسر الآية بالسنة، فإن لم يجد في الكتاب والسنة ما يفسر الآية فسرها بأقوال الصحابة ثم أقوال التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.
٢. إن لم يجد ابن كثير تفسيراً للآية من المأثور فإنه يلجأ إلى بيان رأيه واجتهاده.
٣. يبدأ ابن كثير في تفسيره للسورة ببيان فضلها ومكان نزولها ثم بيان عدد آياتها.
٤. يقسم السورة إلى مجموعات يفسر كل مجموعة على حدة.
٥. اعتمد ابن كثير على تفسير الطبري ونقل عن غيره، ولم يكن مجرد ناقل بل كان مدققاً محققاً يناقش ما ذكره المفسرون يصوب كلاماً ويرد ما يراه ضعيفاً.
٦. اعتنى بإيراد قصص الأنبياء.

٧. مع أن تفسيره احتوى الكثير من الأحاديث والروايات إلا أن ابن كثير لم يوردها على علاَّتها بل كان يبين صحيحها من سقيمها، فيبين علات السند وشواهد المتن بأسلوب المحدث البصير.

٨. لم يهتم ابن كثير ببيان إعجاز القرآن وأسرار نظمه وبديع تأليفه.

١٠.٦ تفسير الجلالين:

مؤلفا التفسير: هذا التفسير لعالمين جليلين عاشا في وقتين متتالين هما: جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي، كان علامة آية في الفهم والذكاء واسع العلوم، ولد بمصر سنة (٧٩١هـ)، وتوفي سنة (٨٦٤هـ) والآخر هو: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كان صاحب ذاكرة قوية، تتلمذ على كثير من المشايخ، بلغت مؤلفاته أكثر من خمسمائة مؤلف، ولد سنة (٨٤٩هـ) وتوفي سنة (٩١١هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفيه فيه:

١. اشترك الجلالان في التفسير وقد تميز بأنه غاية في الاختصار والإيجاز.

٢. ابتدأ جلال الدين المحلي تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ بتفسير سورة الفاتحة ووافته المنية بعد أن أتمها.

٣. أكمل جلال الدين السيوطي ما شرع به المحلي ففسر ابتداءً بسورة البقرة وانتهى عند آخر سورة الإسراء في أربعين يوماً، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي لتكون ملحقة به. قال السيوطي بعد أن أتم تفسير سورة الإسراء: "هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الذي ألفه الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جهدي وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول". (تفسير الجلالين: ص: ٣٨٦).

٤. اعتمد المحلي في تفسيره أرجح الأقوال ونبه على القراءات المشهورة بأوجز عبارة وأعرب ما احتاج إلى إعراب، وقد سار السيوطي على خطوات المحلي حتى أن القارئ لا يكاد يجد فرقاً بيناً واضحاً بين طريقة الجلالين فيما فسراه إلا في مواضع قليلة جداً. وقد صرح السيوطي أن ما وضعه مقتبس من وضع المحلي ومستفاد منه، وأضار إلى انه لم يخالفه إلا في مواضع يسيرة جداً. (تفسير الجلالين: ص: ٣٨٦).

تدريب (٧)

أخي الطالب أختي الطالبة: عرّف التفسير الإشاري ومثِّل له بثلاثة كتب

نشاط (٦)

ارجع إلى تفسير الجلالين عند الآية (١١٢) من سورة الإسراء وناقش الفرق في تعريف الروح بين الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي عليهما سحائب الرحمة.

١١.٦ تفسير القرآن الحكيم، المشهور ب (تفسير المنار):

مؤلف التفسير:

محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، كان تلميذاً في مدرسة الإمام محمد عبده، وقد أفاد منه كثيراً ووظف أفكاره ودروسه التي كان يلقيها في تفسيره هذا، وهو صاحب مجلة المنار التي كانت منبراً للفكر والإصلاح الاجتماعي في مصر، توفي سنة (١٣٥٤هـ) ودفن بالقاهرة.

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. لم يكمل السيد محمد رشيد رضا تفسير المنار بل أتم تفسيره إلى الآية (١٠١) من سورة يوسف حيث ينتهي الجزء الثاني عشر من القرآن الكريم، وتوفي بعد ذلك.

٢. اعتنى بتعزيز التفسير بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يستعين بأقوال السلف من الصحابة والتابعين.

٣. جنب تفسيره الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات، وعنف المفسرين الذين زجوا تفسيرهم بالإسرائيليات، ومع أنه لم ينقل الإسرائيليات المدونة في كتب التفسير إلا أنه كثيراً ما ينقل عن الكتاب المقدس أخباراً وآثاراً يفسر بها بعض مبهمات القران، أو يرد بها على أقوال بعض المفسرين.

٤. حاول علاج أمراض المجتمع في عصره، وإيجاد حلول لمشاكله من خلال التفسير القرآني.

٥. نهج في تفسيره منهجاً أدبياً اجتماعياً كشف عن بلاغة القرآن وإعجازه.

٦. وفَّق بين القرآن وما أثبته العلم الحديث من حقائق.

٧. دافع عن الإسلام والقرآن وكشف عما أحاط بهما من شكوك ومشاكل.

مما يؤخذ على هذا التفسير:

١. أن صاحبه قد نهج طريقاً متحرراً من أقوال السابقين ومذاهب المفسرين، فكان له آراء وأفكار تفرد بها عمن سبقه.

٢. أعطى مؤلفه حرية واسعة للعقل جعلته يعدل عن حقائق الأمور إلى مجازها، كما أنه لم يتقيد ببعض المسلمات عند العلماء مما جعله يستقل بأفكار خارجة عن ترجيح أهل العلم ومن ذلك:

أ. عند الآية (٢٧٥) من سورة البقرة (...ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) نجده يخالف أهل السنة ويقرر أن صاحب الكبيرة التي في درجة أكل الربا وقتل العمد إذا مات ولم يتب منها يخلد في النار ولا يخرج منها أبداً. (المنار: ٣ / ٨٣)

ب. يرى أن السحر ضرب من التمويه والخداع وليس له حقيقة كما يقول أهل السنة، وهو يوافق بهذا القول قول شيخه محمد عبده، وقول المعتزلة. مثال ذلك تفسيره للآية (٧) من سورة الأنعام.. يقول(والآية تدل على أن السحر خداع باطل، وتخيل يرى ما لا حقيقة له في صورة الحقائق..). (المنار (٧/٢٦٠)).

ت. يرى أن الجن لا ترى للإنسان على أي حال من الأحوال.

ث. ينكر بعض المعجزات الكونية للرسول صلى اله عليه وسلم، ويجحد صحة ما يقوم بإثباتها من الأحاديث.

ج. خالف الفقهاء في مسائل عدة من ذلك أنه قرر أن المسافر يجوز له التيمم ولو كان الماء بين يديه ولا علة تمنعه من استعماله إلا كونه مسافراً، وهو بذلك يخالف جماعة الفقهاء ويعنفهم فيما ذهبوا إليه من عدم جواز التيمم للمسافر، وذلك عند الآية (٤٣) من سورة النساء. (المنار: ٥ / ٩٨).

١٢.٦ في ظلال القرآن

مؤلف التفسير:

هو: سيد بن الحاج قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد سنة (١٩٠٦) م، في قرية من قرى الصعيد، تخرج من دار العلوم في القاهرة وكان أستاذا أدبيا ناقداً، وقاصاً وشاعراً، ومفكراً معروفاً، فلسف الفكر الإسلامي وكشف عن مفاهيمه الصحيحة في وضوح وجلاء، أعدمه جمال عبد الناصر عام (١٩٦٦م). (انظر: الخباص، عبد الله، سيد قطب الأديب الناقد(ص:٧٩)، والقطان، مناع، مباحث في علوم القرآن (ص: ٣٧٣)).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. يتكلم عن ظلال السورة في مقدمتها، ويعرف بها ويقسمها إلى أشواط.

٢. يبين الوحدة الموضوعية لسور القرآن،ويجعل لكل منها محوراً واحداً ويربط بين أجزائها.

٣. يربط نصوص القرآن بالواقع المعاصر، لإيقاظ الوعي وتصحيح المفاهيم وربط الإسلام بالحياة.

٤. يربط الأحكام والتشريعات بالعقيدة الإسلامية.

٥. يبين أسباب النزول، ويذكر المأثور الصحيح ويعرض عن الأساطير والإسرائيليات، ويضرب صفحاً عن المباحث اللغوية مكتفياً بالإشارة العابرة.

٦. يبرز التوافق والانسجام بين الكون والإنسان.

٧. يعرض القرآن عرضاً أدبياً يبرز الصورة الفنية، وقد تجلت في تفسيره نظرية التصوير الفني.

٨. أظهر القضايا الفكرية وناقشها، ووقف في وجه المادية الجاهلية.

٩. اعتمد منهج تلقي القرآن للتنفيذ والتطبيق على واقع الحياة مما أكسب تفسيره حرارة العاطفة (التفسير الحركي). (وانظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (ص: ٣٦٧)).

١٣.٦ صفوة التفاسير

مؤلف التفسير:

هو محمد بن علي الصابوني، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، له العديد من المؤلفات المختصة بالتفسير وعلوم القرآن، فقد اختصر تفسير ابن كثير بصورة موجزة

تقارب تفسير الجلالين، وجمع تفسير آيات الأحكام بمؤلف مستقل عنونه بـ "روائع البيان في تفسير آيات الأحكام".

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

١. يقع التفسير في ثلاثة مجلدات وقد أتمه مؤلفه في خمس سنين، وكان الفراغ من تأليفه سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من هجرة سيد المرسلين.
٢. جمع بين المأثور والمعقول، واستمده مؤلفه من أوثق كتب التفسير (الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط).
٣. تحرى فيه المؤلف ذكر أصح الأراء وأرجحها في تفسير كتاب الله تعالى مع الاختصار بأسلوب ميسر واضح.
٤. يذكر فيه المؤلف بين يدي كل سورة بياناً إجمالياً للسورة يوضح المقاصد الأساسية لها.
٥. يذكر ما روي في فضل السور ة معزواً إلى من أخرجه من أصحاب السنن.
٦. يشير إلى سرّ تسمية السورة وعلاقة الاسم بموضوع السورة.
٧. يبين المسائل اللغوية في مجموعة الآيات التي ينوي الشروع في تفسيرها قبل أن يبدأ بالتفسير.
٨. يفسر الآيات القرآنية ويضرب صفحاً عن القضايا الإعرابية، ويذكر الفوائد التي لها علاقة بالآيات والمستنبطة منها.
٩. يبين المناسبة بين الآيات، ويذكر سبب نزولها.
١٠. يلحق مجموعة الآيات المفسرة ما يتعلق بها من الصور البيانية والنكات البلاغية.

وختاماً: فإننا ننصح العامة باقتناء هذا التفسير لما حواه من أقوال أئمة المفسرين بأسلوب مبسط، وعبارات واضحة من غير حشو ولا تطويل، وبلغة رصينة وعرض متميز خلا من تضارب الأقوال والروايات المرذولة.

أسئلة التقويم الذاتي (٨)

١. ما الأمور التي تعاب على تفسير الرازي؟
٢. قارن بين تفسير الزمخشري وتفسير أبي حيان؟
٣. من الذي ألف تفسيره قبل الآخر، جلال الدين المحلي أم السيوطي؟ وما الذي فسره كل منهما؟
٤. بيّن رأي محمد رشيد رضا في آيات السحر؟
٥. أجب بنعم أو لا عن الأسئلة التالية:

أ. خلا تفسير ابن جرير تماماً من الروايات الإسرائيلية.
ب. صاحب تفسير (بحر العلوم) هو العلامة الشوكاني.
ت. غلب جانب الرواية على الدراية في تفسير بحر العلوم.
ث. اختصر البغوي تفسيره من تفسير الثعلبي الموسوم ب (التحرير والتنوير).

ج. فسَّر الزمخشري الكشاف وفق مذاهب الشيعة.
ح. خلا تفسير الكشاف من الحشو والتطويل.
خ. لم يتعمق سيد قطب في القضايا اللغوية واكتفى بالإشارة العابرة.
د. مؤلف كتاب (روائع البيان في تفسير القرآن) هو السيد محمد رشيد رضا.
ذ. يتعرض الصابوني في تفسيره إلى المناسبات بين الآيات.

٧. الخلاصة

أخي الطالب، أختي الطالبة: قدمنا لك الوحدة الأولى من مقرر التفسير رقم (٥٢٢٤)، وقد تكلمت هذه الوحدة عن (التفسير ومناهج المفسرين)، ومن المفيد هنا أن نقدم لك ملخصاً بأهم ما عرضناه لك في هذه الوحدة:

١. معنى التفسير والتأويل.
٢. مكانة علم التفسير.
٣. تفسير الصحابي وخصائصه.
٤. تفسير التابعي وخصائصه.
٥. مدارس التفسير في عهد التابعين.
٦. كيفية الوقوف على تفسير سورة من القرآن.
٧. منهج تفسير القرآن.
٨. أسباب توهم اختلاف التفسير عند الصحابة وأئمة التابعين.
٩. أسباب اختلاف التفسير عند المفسرين.
١٠. التعريف بأهم كتب التفسير القديمة والحديثة.

٨. لمحة عن الوحدة الدراسية الثانية

أخي الطالب، أختي الطالبة:
بعد أن درست هذه الوحدة واستوعبت مفرداتها فإنك بعون الله ستنتقل إلى دراسة الوحدة الثانية من هذا المقرر والموسومة ب (تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم) وستتفيء – بإذن الله – في ظلالها، وتقطف وروداً وأزهاراً تكون زاداً لك في حياتك، وقد قُسِّمت السورة إلى خمسة دروس: الأول: عن حقيقة المؤمنين وحقيقة الكفار، الثاني: عن قتال الكفار وحكمته ونتائجه، الثالث: مقابلة بين المؤمنين والكفار، الرابع: تحديد المنافقين وبيان صفاتهم، الخامس: تأكيد الحث على الجهاد.

٩. إجابات التدريبات:

إجابة التدريب الأول:

من الأحاديث الواردة في فضل تلاوة القرآن:

١. قال عليه السلام: " من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "ألم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف".

٢. قال عليه السلام: " إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه".

٣. قال عليه السلام:" ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده".

إجابة التدريب الثاني:

أخرج ابن جرير في تفسيره عن وهب بن منبه اليماني قال: " ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الاسكندر، وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس...الخ القصة" (ابن جرير، جامع البيان(٩ /١٧)).
وهناك العديد من الروايات التي تصف يأجوج ومأجوج في كتب التفسير.

إجابة التدريب الثالث:

أنكر الشوكاني المناسبات وذكر أن هذا العلم الذي جاء به كثير من المفسرين علم متكلف، وأن المفسرين خاضوا بحراً لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم بما لا يعود عليهم بالفائدة، ولعل هذا قد عرض للشوكاني لأن

سياق الآيات كان يتكلم عن استخلاف آدم عليه السلام، ثم انتقل السياق ليتكلم عن بني إسرائيل فلم يجد الشوكاني مناسبة بين هذين الموضعين مما جعله ينكر المناسبة (الشوكاني، فتح القدير (١/٧٢ – ٧٣))، وقد تلخصت الشبهات التي أثارها الشوكاني فيما يلي:

١. إن القرآن نزل مفرقاً حسب الحوادث المقتضية لنزوله، وهذه الحوادث مختلفة لا يستقيم معها الائتلاف والتناسب، فكذلك القرآن النازل فيها فإنه مختلف كاختلافها.

٢. إن طلب المناسبة بين الآيات غير معقول لأن المناسبة تقوم على ترتيب التلاوة، وترتيب التلاوة قام به الصحابة.

٣. أنزل الله كتابه بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم في الكلام، وكان من عادة العرب أن يأتوا بفنون متخالفة وطرائق متباينة في المقام الواحد فضلاً عن المقامين، فضلاً عن المقامات.

مناقشة قول الشوكاني:

١. إن الشبهة الأولى عند الشوكاني قائمة فيما إذا كان ترتيب القرآن حسب النزول، ومما هو معلوم أن ترتيبه لم يكن كذلك بل كان حسب التلاوة.

٢. وجواباً على الشبهة الثانية: فإن ترتيب الآيات لم يكن باجتهاد الصحابة وإنما كان أمراً توقيفياً ولنا هنا أن نسأل الشوكاني لماذا عُدل عن ترتيب النزول إلى ترتيب آخر هو ترتيب التلاوة!!، والجواب أن هذا العدول لم يكن إلا لفائدة مرجوة وقيمة منتظرة ألا وهي المناسبات والتآلف بين الآيات وإلا لرتبت حسب نزولها.

٣. وجواباً على الشبهة الثالثة: فإن بلغاء العرب يعرفون البلاغة بأنها: (أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله). (وأنظر، فرحات، أحمد حسن، دراسات في علوم القرآن، ص: ٣٦).

إجابة التدريب الرابع:

قال أكثر المفسرين إن الضمير للشركاء، والمعنى أنهم لو كانوا شركاء لي في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم لكانوا مشاهدين خلق ذلك مشاركين لي فيه.

وقيل: الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين، والمراد أنهم ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم بدليل أني ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما اعتضدت بهم. (أنظر: الشوكاني، فتح القدير: ٣ / ٢٩٣).

إجابة التدريب الخامس:

١. (ج).
٢. (د).

إجابة التدريب السادس:

هو تفسير فقهي خاص بآيات الأحكام التي وردت في القرآن الكريم، قام به اتباع المذاهب الفقهية المختلفة، وقد فسروا هذه الآيات مظهرين آراء مذهبهم الفقهية ومأصلين لها، ومتعصبين لها أحياناً.

ومن أمثلتها:

١. أحكام القرآن، مؤلفه أبو بكر احمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص، وهو من أئمة المذاهب الخنفي: (ت: ٣٧٠هـ).
٢. أحكام القرآن مؤلفه: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي، وهو من أئمة المذهب المالكي (ت: ٥٤٣هـ).
٣. أحكام القرآن: مؤلفه: أبو الحسن الطبري، المعروف بالكيا الهراسي وهو من أعيان المذهب الشافعي(ت: ٥٠٤هـ).

إجابة التدريب السابع:

التفسير الإشاري هو تفسير خاص بالمتصوفة حيث يرى بعض المتصوفة وراء العبارات القرآنية إشارات قدسية تنكشف له، ويرى أن لآية لها ظاهر وباطن، أما ظاهرها فهو ما ينساق إليه الذهن قبل غيره، وأما الباطن : فهي تلك الإشارات الخفية التي تظهر لأرباب هذا السلوك.

وهذا التفسير إذا أوغل في الإشارات الخفية صار ضرباً من التجهيل وهو حرام، أما إذا كان استنباطاً حسناً يوافق مقتضى ظاهر العربية، وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض كان مقبولاً. (انظر، القطان، مباحث في علوم القرآن (ص: ٣٥٥)).

ومن المؤلفات التي كتبت فيه:

١. تفسير ابن عربي، محيي الدين بن عربي(ت: ٦٣٨هـ).
٢. تفسير روح المعاني، شهاب الدين محمد الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ).
٣. حقائق التفسير ، لآبي عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ).
٤. تفسير القرآن العظيم، لسهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ).

١٠. مسرد المصطلحات

- **ىئلأزيعئنكبئ ة**: هي مرويات أهل الكتاب من اليهود والنصارى.
- **ظعفئحند**: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

– ***ﻟﺘﻔﺴﻴﺮ ﺑﺎﻟﻤﺄﺛﻮﺭ:*** تفسير القرآن بما جاء في القرآن نفسه، أو السنة، أو كلام الصحابة رضوان الله عليهم.

– ***ﺍﻟﺘﻔﺴﻴﺮ ﺑﺎﻟﺮﺃﻱ:*** تفسير القرآن بالدراية.

– ***ﻏﺮﺍﺋﺐ ﺍﻟﺘﻔﺴﻴﺮ:*** هي ما قيل في القرآن من الأقوال الغريبة التي لا يحل حمل القرآن عليها ولا يحل ذكرها إلا على سبيل التحذير.

– ***ﻣﺤﻮﺭ ﺍﻟﺴﻮﺭﺓ:*** الموضوع الأساسي الذي تدور حوله آيات ومواضيع السورة.

– ***ﺍﻟﻤﻨﺎﺳﺒﺔ:*** وجه الارتباط والاتصال بين جمل الآية الواحدة، وآيات السورة الواحدة، ومطلع السورة وخاتمتها، والسورة مع ما قبلها وما بعدها وفق ترتيب التلاوة.

– ***ﺍﻟﻮﺣﺪﺓ ﺍﻟﻤﻮﺿﻮﻋﻴﺔ:*** الوحدة الموضوعية للسورة: تتمثل بكون كل سورة من سور القرآن لها روح يسري في أجزائها وفكرة عامة تربط بين آياتها، بحيث تشكل موضوعاً مترابطاً.

١١. المراجع

١. أحمد: بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة – مصر.

٢. الأصفهاني: الراغب، مقدمة جامع التفاسير، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الدعوة – الكويت.

٣. ابن الأنباري: ابن الأنباري (ت:٣٢٨)، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن، دمشق سنة (١٣٩٠)هـ.

٤. البخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير – اليمامة، (ط: ٣/١٩٨٧م)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.

٥. البغوي، الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ) معالم التنزيل (تفسير البغوي)، دار المعرفة – بيروت، (ط ١/١٤٠٦هـ).

٦. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨) مجموع كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي.

٧. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨) مقدمة في أصول التفسير، تحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم – الكويت، ط١، سنة ١٣٩١هـ.

٨. الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٩. ابن جرير: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير) ، دار الفكر – بيروت ط(١٩٨٤م).

١٠. الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (تفسير الجلالين)، دار المعرفة – بيروت.

١١. الجويني: مصطفى الصاوي، مناهج في التفسير، منشأة المعارف بالإسكندرية.

١٢. الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ)، معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب المصرية.

١٣. حمزة: د. عمر يوسف، دراسات في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة الأقصى، قطر، (ط٢ / ١٩٩٥م).

١٤. الخالدي: د. صلاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان – عمان (ط١ / ١٩٨٣م).

١٥. الخباص: عبد الله، سيد قطب الأديب الناقد، مكتبة المنار – الزرقاء، ط١، سنة (١٩٨٣م)

١٦. دراز: د. محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم – الكويت، (ط٣ /١٩٨٨م).

١٧. الذهبي: د. محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي – مصر.

١٨. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، أبو عبد الله (ت: ٦٠٦)هـ، التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣.

١٩. رضا: محمد رشيد (ت: ١٣٥٤ هـ)، تفسير القرآن الحكيم، المعروف ب (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر (سنة / ١٩٧٢م).

٢٠. الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١ / ١٩٨٨م).

٢١. الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر – بيروت، ط. سنة ١٩٨٨م.

٢٢. ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر –بيروت.

٢٣. سعيد بن منصور: سنن سعيد بن منصور، دار العصيمي – الرياض، (ط١ / ١٤١٤هـ)، تحقيق د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد.

٢٤. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١)، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة دار التراث – القاهرة، (ط٣ / ١٩٨٥م)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢٥. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تدريب الراوي.

٢٦. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم – بيروت ، (ط/٤) سنة (١٤٠٣هـ).

٢٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، مفتاح الجنة، الجامعة الاسلامية – المدينة المنورة (ط٣ / ١٣٩٩هـ).

٢٨. السيواسي: شهاب الدين أحمد بن محمود (ت:٨٦٠هـ) ، عيون التفاسير للفضلاء السماسير، رسالة جامعية، دراسة وتحقيق د. محسن الخالدي، إشراف أ.د. أحمد علي الإمام.

٢٩. الشاعر، تمام كمال، منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين، رسالة جامعية (جامعة النجاح)، إشراف د. محسن الخالدي (٢٠٠٤)م.

٣٠. شحاتة: د. عبد الله محمود، القرآن والتفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٤م).

٣١. الشوكاني: محمد ين علي بن محمد (ت: ١٢٥٠ هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر (ط٢ / ١٩٦٤م).

٣٢. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠ هـ)، مكتبة العلوم والحكم – الموصل (ط٢ / ١٩٨٣) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

٣٣. ابن عباس: عبد الله، تفسير ابن عباس المسمى: صحيفة علي بن أبي طلحة، تخريج وتحقيق راشد عبد المنعم الرجال، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١ (سنة ١٤١١هـ).

٣٤. العك: الشيخ خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس – بيروت (ط٢ / ١٩٨٦م).

٣٥. القطان: مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة (ط٢)، لا توجد سنة نشر.

٣٦. قطب: سيد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي – بيروت (ط٧ / ١٩٧١م).

٣٧. القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، دار إحياء التراث العربي – بيروت (ط٢ / ١٩٨٥م).

٣٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، دار الفكر – بيروت (١٤٠١هـ).

٣٩. ابن ماجه: محمد بن يزيد، أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، دار الفكر – بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٠. مسلم: بن الحجاج أبو الحسين القشيري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٤١. منيع: منيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري – القاهرة (ط١ / ١٩٧٨م).

٤٢. النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي (ت: ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية – مصر.